

النورانية

تاريخها وغاياتها

ترجمة وتعليق

مسيل ريب

دار الفخاش

مقدمة الناشر

اليهودية معتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان ؛ هي دين مغلق ، فلا يحق لأي إنسان أن يمتنع اليهودية . بمعنى أوضح : إن اليهود لا يقبلون في صفوفهم إنساناً جديداً يمتنع دينهم ، خلافاً لجميع المبادئ والأديان التي تعمل لزيادة المؤمنين بها . ولكي يكون الإنسان يهودياً يجب أن يكون من أم يهودية . وما زالت محاكم اسرائيل ترفض الاعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودي وأم غير يهودية (١) .

وقد ارتبطت كلمة « يهودي » في أذهان الناس ، بتصور خاص وصفات معينة خلال عصور التاريخ . واستطاع معتقون

(١) اعترض الحاخام الأكبر في حيفا على زواج أحد ضباط المظلات من غالبا بن غوريون (حفيدة بن غوريون) لأنها من أم انكليزية مسيحية ، والهجبة التي قدمها الحاخام « ليس هناك أي إثبات على أنها يهودية » . (جريدة لوموند ٢٤ شباط ١٩٦٨) .

اليهودية أن يحافظوا على دينهم وعرقهم، فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا معها في كل البلدان ، وانزلوا في « حارات » أو « غيتو » ، لا تهم التسمية ، المهم أنهم انزلوا عن الشعوب التي عاشوا معها ، في أماكن خاصة ، وحافظوا على لغتهم وديانتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استقلال الشعوب الأخرى بأية وسيلة . فهم وحدهم « شعب الله المختار » وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب .

ويعود الفضل في ذلك إلى دينهم ومعتقداتهم . وقد يستغرب المرء كيف يتهرب غير اليهود من التمسك بمبادئ ديانتهم أكثر من اليهود الذين يتشددون بالتمسك بها . وتحليل ذلك بسيط ، فالديانات كلها مبنية على مثل عليا، وتفرض على معتنقيها واجبات كما تتشدد في منع استقلال الآخرين أو احتقارهم . والانسان أناني بطبعه ، على الغالب ، يحب استقلال غيره . وهذا ما أدركه الذين وضعوا أسس الديانة اليهودية الأقدمون ، إذ يجمع معظم علماء الديانات تقريبا بمن فيهم اليهود ، على أن اليهودية بوضعها الحالي هي غير الدين اليهودي الذي جاء به النبي موسى ...

وبما لا خلاف فيه ان التلمود ، وهو الكتاب الذي يشرح العقيدة اليهودية ، هو كتاب سري وضعه حاخامات اليهود^(١)

(١) راجع « التلمود تاريخه وتعاليمه » لظفر الاسلام خان ، منشورات : « دار النفائس » .

خلال فترة امتدت ما بين ٤٠٠ - ٦٠٠ سنة . أما التوراة فيرى بعض البحاثة أنها من وضع العلماء الدينيين والديويين الأقدمين أيضاً ، ومن هؤلاء كاتب النصوص الأصلية في هذه الدراسة ، وهو كاتب مسيحي لاهوتي حاول أن يثبت نظريته بدراسة تاريخية للتوراة ، وتحليل علمي لما ورد فيها ... ونظراً لأهمية هذه الدراسة وما فيها من أمور يحفلها معظم الناس ، فإننا نضعها في متناول يد قارئ العربية بعد تدقيقها وشرحها والتعليق عليها . آملين أن تساهم في تعميم معرفة بعض جوانب معتقدات اليهود ، وتكشف الغطاء عن مصدر الشرور في سلوكهم .

الناشر



مقدمة المؤلف

يسمع الحكيم فيزداد فائدة . والحكمة
والتأديب يستهين بهما السفهاء . والسفهاء
« يموتون في عدم اللب » .

(أمثال ، ١ : ٥ - ٧ و ١٠ : ٢١)

كان الكتاب المقدس خلال قرون طويلة أهم مرجع لدى
العرق الأبيض ، وقد حظي خلالها بدراسات عميقة لمعانيه
اللاهوتية والأخلاقية ، وتبحر فيه علماء اللغة والتاريخ بغية تنمية
معلوماتنا ومفاهيمنا عنه . حتى الملحدون من العلماء قاموا
مؤخراً بنشاط متزايد لدراسته مع الكتب المقدسة الأخرى ،

(١) المؤلف أميركي الجنسية .

يهدف رفض هذه الكتب برمتها ، على أساس أنها خرافات
لا علمية غايتها استعباد العقل البشري .

لكن حقلاً حيويًا بقي دون دراسة ، اذ اعتبر قادة العرق
الأبيض الدينيون والديويون ولوجه أمراً محرماً، ألا وهو المعنى
السياسي للتوراة .

ومع تقديري المتواضع لضخامة البحث والدراسة اللازمين
لاستكمال تقرير كامل عن المعاني السياسية للتوراة ، افتتح باب
مناقشة هذا الموضوع المحرم ، مستلهماً الإرشاد الإلهي في هذه
المهمة الصعبة .

وأعتذر لنشر هذه الدراسة دون توسع وتعمق ، فهما يتطلبان
وقتاً يتجاوز حياة أكثر من انسان لاستكمالهما ، والخطر المريع
الذي يتهدد شعبنا يجعل من الضروري فتح باب هذه المناقشة
دون أي تأخير. ولا أشك مطلقاً في أن علماء اللاهوت من مختلف
الدرجات سيعتقدون في هذه الدراسة لإيجاد أوجه الكفر فيها ،
واستئزال اللعنة على الذين لا يرددون كالأصداة ما يفقه هؤلاء
العلماء عن الأديان . لكنهم سيجدون هنا القليل مما يستطيعون
غرز أنبياهم فيه ، لأن هذه الدراسة ، ما هي إلا دراسة عن
بشر ومؤامراتهم ، وليست دراسة عن الإله الخالق الجبار .
وخلافاً لهؤلاء فأنني أعتبر نفسي غير مؤهل للحكم على الرب القادر
العظيم (!) ، لذلك سأحصر البحث في غايات ودسائس الرجال الذين
شاركوا في صياغة التوراة .

وإني وقد أذهلني عالم اللاحقية الذي يفرضه علينا مدعو السلطة، أجد نفسي مضطراً لمناقشة الكثير من «الحقائق الثابتة». لكن كيف يتمكن المرء من استنباط الحقيقة ، عندما تقوم هيئات غير معصومة عن الخطأ (!) ، فتطلب منه أن يقبل، دون مناقشة ، ما يدعونه هم أنه الحقيقة ؟ أليس ذلك اعترافاً منهم بأن « الحقيقة » التي يدعونها لا تستطيع الصمود أمام المناقشة الهادئة الشريفة ؟ أليس هؤلاء عميان يقودون عميان وكهنة ظلام ؟

وبعد دراسة خاشعة ومخلصة ، تبين لي أن الوقائع المكتشفة تقودنا دون ريب الى نتائج مذهلة لا مهرب منها . وأرجو القارئ الكريم أن لا يرفض هذه الدراسة لمجرد كونها لا تؤكد ما فرض علينا أن نعتقد به كالعميان ، لأنه ، كما قال السيد المسيح : « قد غلظَ قلب هذا الشعب ، وثقلت آذانهم عن السماع وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا بأذانهم ولا يفهموا بقلوبهم » (متى ، ١٣ : ١٥) .

ان ملايين الملايين من الساعات استهلكها البشر في ترتيب وتنقيح وترجمة ودراسة وبحث الكتاب المقدس ، وعلى الرغم من ذلك نرى أن باحثيه المسيحيين قد تفادوا بعناية الاقتراب من سؤال أساسي ، تعتمد على الجواب عليه كل الأسئلة الاخرى : ما هي غايات الذين وضعوا التوراة ؟ إن تهرب العلماء المسيحيين من الجواب على هذا السؤال الرئيسي ، يجعلهم في وضع لا

يستطيعون فيه التفريق بين حبة (الزيوان) و حبة القمح في تلال
معلوماتهم .

ومن الواضح جداً أن علماء اليهود متقدمون على أقرانهم من
المسيحيين. فما هو مفتاح السر الذي يملكونه والذي يعطيهم هذه
النظرة الثاقبة الى أصل ومعنى كتبهم المقدسة ؟ كما وأنه من
الواضح أيضاً أنهم لا ينوون البتة الافصاح عن الطريقة التي
توصلوا بواسطتها الى تلك النتائج المستهجرة بالنسبة الى كتبهم
المقدسة .

ان غاية هذه الدراسة هي التفسير السريع للنواحي الخفية
لهذه المكتشفات المذهلة ، مبتدئة من السؤال الأول والأكبر :
ماذا كان الحافز المحرك ؟

ولجعل هذه الدراسة في متناول الجميع ، وليس فقط حفنة
من العلماء المختصين ، فقد اقتصرنا على ذكر بعض النتائج دون
الاكثار من الاستشهادات التاريخية والأمثلة اللغوية .

وإني أرجو الذين يملكون القدرة على التدقيق في النتائج التي
توصلت اليها أن يقارنوا هذه النتائج مع الدراسات التوراتية
الاخرى . لكن لا بد لي من تحذيرهم من الرجوع الى التفسيرات
الحديثة المبسطة ، مثل كتاب « تفسير الكتاب المقدس » (١)

The Interpreter's Bible , Abington Press 1956 . (١)

الذي يحتوي على تفسيرات فريسية متحايلة ، مثل هذا التعليق
الاجوف على الاصحاح الرهيب (١٢:٦٠) من نبوءة « اشعيا »^(١) ،
إذ يقول الكتاب المشار اليه « انها مجرد (تحشية) من كاتب
أخطأ فهم وترجمة نفسية الشاعر وتفكيره . وهو قد ضلته دون
شك خاتمة الشعر السابق^(٢) ، بحيث فسر كلمة « تحضر » بأن
الملوك سيقعون في الأسر » .

وكذلك فإن إعداداً نفسياً مماثلاً قد سبق شطب بعض
المقاطع الصريحة من الاناجيل في «النسخة الاصلية المعدلة»^(٣) ،
مثل شطب الاصحاح ٢٣ : ١٤ من انجيل متى^(٤) . أما التفسير
الذي يعطونه لهذا العمل الفاضح ، فهو موجه للجهلة فقط .

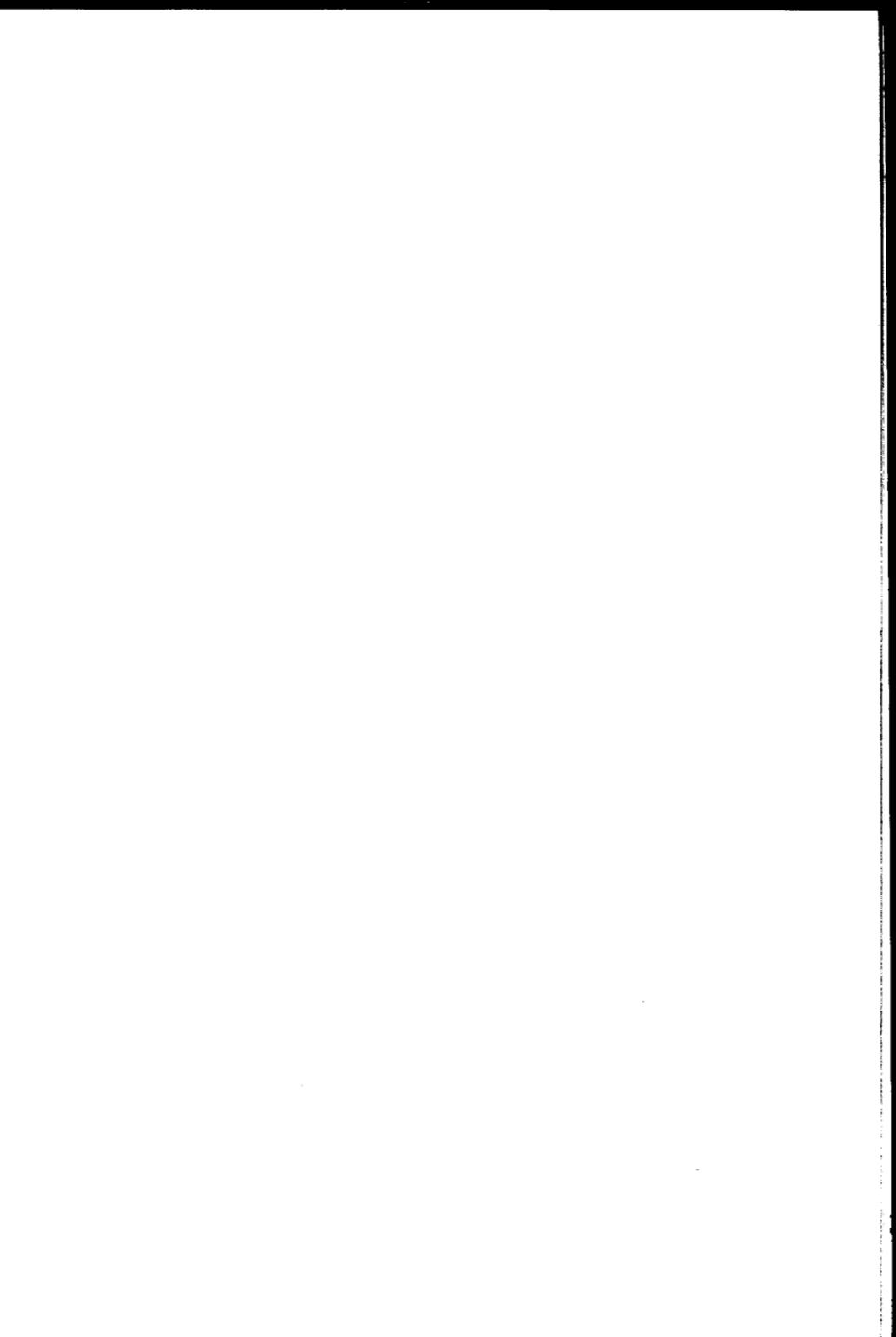
وإذا ما استمر الفريسيون في « تنقيح » كتاب المسيحيين
المقدس ، فلن يبق من ذلك الكتاب الجليل سوى هيكل مهمل
جائع !..

(١) « لأن الأمة والمملكة التي لا تتعبد لك (اورشليم) تهلك والأمم
تخرّب خراباً » .

(٢) الشعر السابق المقصود هو : « وتفتح أبوابك دائماً لا تغلق نهاراً ولا
ليلاً ليؤتى اليك بغنى الأمم وتحضر اليك ملوكهم » .

(٣) Revised Standard Edition .

(٤) « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرآؤون فإنكم تأكلون بيوت
الأرامل بعلّة تطويل صلواتكم ، ومن أجل هذا ستألكم دينونة أعظم » .



منشأ اليهودية الاورثوذكسية (١)

إن الشعب الذي عرف فيما بعد تحت اسم « اليهود » كان على ما يظهر، قبيلة فلسطينية (٢) لا شأن لها ، لكنها كثيرة الازعاج

(١) كلمة « الاورثوذكسية » أصلها يوناني ، ومعناها العقيدة القوية أو الملزمة .

(٢) قد يكون في هذا التأكيد من المؤلف بعض التناقض مع الحقائق التاريخية المتعارف عليها والتي تحدد أصل اليهود في « أور » في العراق ، ومنها ارتحلوا الى حوران في شمال سورية ، ومن ثم الى فلسطين ومنها الى مصر . ولا شك أن المؤلف يتمسك بحرفية التفريق بين كلمات « عبرانيين » و « اسرائيليين » و « يهود » ، والامم الأخير ، أي « يهود » أطلق على قبيلة « يهودا » وهو الابن الرابع ليعقوب ، والتي قطنت منطقة « يهودا » نسبة الى نفس الاسم ، في فلسطين . وكلمة « اسرائيليون » تطلق على سلالة اسرائيل أي ملاك الله ، وهو الاسم الذي أطلق على يعقوب (راجع الفصل ٣٢ من « سفر التكوين ») . أما كلمة (عبرانيون) فمختلف على أصلها ، والتفسير الأكثر ترجيحاً هو أنها مشتقة من كلمة (عبر) ، أي الجماعة التي أتت عبر نهر الفرات .

(أنظر كتاب الحاخام ايزيدور ابشتاين « اليهودية » ، الفصل الأول .
« Le Judaisme » , Dr. Isidore Epstein (Payot , Paris)

وقد نفى زعمائها المتوردون إلى بابل (١) .

وبينا كان هؤلاء يتحرقون في المنفى دون أن يستطيعوا مقاومة ، تفتقت عبقرية التآمر لديهم عن فكريتي « الشريعة » و « الوعد » ، وغايتها المحافظة على أنفسهم كعرق متمرد ، متآمر ، منطو على نفسه ، منظم تنظيمًا شبه عسكري ، وغير قابل للاندماج مع غيرهم .

تقول « الموسوعة اليهودية » (٢) : « وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين ، منظمة حسب تعليمات الفريسيين ، (وكلمة الفريسيين مشتقة من الآرامية وتعني المنشقين) ، كما أعيد وضع (٣) كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية ، وأعطى وجه جديد للتشريعات السابقة « السنهدرين » ، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد القديمة . وقد كَيْفَت الفريسية طبيعة اليهود ، وكذلك حياة وتفكير اليهودي ، للمستقبل كله . »

(١) يقصد غزو نبختنصر لملكة يهوذا عام ٥٨٦ ق. م ، حيث استولى على القدس ، وخرّب هيكل سليمان ، وأخذ سبعين ألفاً ، وهم معظم يهود ذلك الزمان ، أسرى إلى بابل .

(٢) The Jewish Encyclopedia - Funk and Wagnalls - 1906

تحت كلمة Pharisee

(٣) تستعمل الموسوعة كلمة Reconstructed أي أعيد (تركيبها) أو (تجديدها) بينما تستعمل موسوعة فانك اند فاغنلز كلمة Constructed أي (ركبت كلياً) .

أما موسوعة « فنك اند فاغلز » ^(١) ، فتقول في هذا الموضوع : « (والفصول ٤٠ - ٣٨ من نبوءة حزقيال) تتنبأ ، أو على الأقل تضع أسس النظام الديني الفريسي في اليهودية ، وكذلك التفاصيل الدقيقة للعبادة والصلاة . »

والمعلومات المدهشة التالية أعلنها بحائثة يهودي مرموق ، أصبح فيما بعد أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية في القدس :

« إن الاسس التاريخية لهذه العقيدة (اليهودية الأورثوذكسية) قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية [في الشريعة غير المكتوبة ، أي الشفهية ، وتلمود بابل] . »

« وكان من الحيوي ، في تلك الأيام ، أن تُصان عقيدة (يهوه) من ضغط العقائد الغريبة نظراً لقلة عدد اليهود النسبية . وقد كان ذلك عملاً شاقاً ، لكن زعماء القبائل اليهودية اعتقدوا ، وكانوا على حق في ذلك ، انه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ إجراءات استثنائية تقضي بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم ، والمنع المطلق لكل تأثر بالدم والثقافة غير اليهوديين . وهكذا نشأ مبدأ منع التزاوج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود . ومن هنا أيضاً نشأت دقة التوراة اللامتناهية في

Funk & Wagnalls Standard Reference Encyclo - (١)
- pedia 1969 , page 3369 - « Ezekiel » مقابل كلمة :

تعاليمها ، كما نشأ ازدهار اليهود واحتقارهم لكل الثقافات والتقاليد التي لم تتمكن التوراة من السيطرة عليها .

« وقد فرض على القبائل الصغيرة الاعتقاد بأنها عرق نشأ وترعرع خلف الجدران المحصنة (١) عليه أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد ، بحيث أصبح انعزال اليهود واقعا كاملا وأزليا . »

« وقد أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافي والعرق مع غيرهم من الشعوب بواسطة التعاليم الدقيقة عن سلوكهم كأفراد ، وكان ذلك صحيحاً حتى بالنسبة للذين كانوا يرزحون تحت وطأة أقسى الشروط الحياتية . »

« وقد أثبت التاريخ أن كتبهم المقدسة قد أتمت غاياتها على أكمل وأوسع وجه . وكانت الارثوذكسية هي المسيطرة لأنها ، خلافاً لغيرها من المعتقدات ، لم تكن ديناً صحيحاً بمعنى الكلمة ، بل منظمة قتالية تلبس لبوس الدين غايتها الاحتفاظ بنقاوة (الشعب اليهودي) الفيزيولوجية والثقافية » (٢) .

(١) أي ما عرف فيما بعد بأحياء اليهود ، او الغيتو .

(٢) الدكتور آرثر روبن - اليهود في العصر الحاضر ، دراسة اجتماعية علمية ، برلين ١٩٠٤ .

Dr. Arthur Rupin : The Jews of the Present : A Socio - Scientific Study , Berlin 1904 .

راجع العنصرية لدى اليهود في الملحق .

غاية الكتب المقدسة اليهودية

لنأخذ المعطيات التالية ، والتي تفرضها علينا الوقائع
ومعلوماتنا عن التوراة والتاريخ اليهودي :

(١) إن تاريخ اليهود القديم ، والمذكور في (الهكزاتوك)^(١) ،
أي الأسفار الستة الأولى من التوراة ، لا يمكن التحقق
من صحته من أي مصدر آخر سوى التوراة .

(٢) وإن علماء اليهود يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم
اسطوري ، وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية^(٢) .

(١) الهكزاتوك Hexateuch : كلمة مشتقة من اليونانية ، أصلها
« هكزا » ارسنة ، وهي تشير الى الأسفار الستة الأولى من العهد القديم ،
أي التوراة ، كما تستعمل أيضاً كلمة (بنتاتوك Pentateuch) ، نسبة الى
« بنتا » باليونانية ، أي خمسة ، وهي تشير الى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة .
(٢) نقلا عن الموسوعة اليهودية .

(٣) وإن اليهودية الارثوذكسية المستندة إلى شريعتهم نشأت في بابل حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد فقط (١) .

(٤) وإن علماء الكتاب المقدس كلهم 'مجمعون على أن العهد القديم' (٢) جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل .

(٥) وإن غاية الشريعة اليهودية هي أن تربط ببعضها فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير ولا تقبل المصالحة أو المهادنة معهم ، ولا تعرف الرحمة أو الشفقة ومنظمة تنظيماً شبه عسكري (٣) .

(٦) وإن الصور الخيالية في (الهكزاتوك) تصف فئة من المتآمرين المثاليين .

(٧) وإن إله اليهود القبلي يأمرهم بخدمة الشريعة تحت طائلة المحي من الوجود .

(٨) وإن أسفار العهد القديم التالية للهكزاتوك إنما هي وصف

(١) نقلاً عن الدكتور آرثر روبن .

(٢) (العهد القديم) أو (العهد العتيق) ، هو (التوراة) ، وهو ينتهي في التسلسل التاريخي ، عند ظهور المسيح ، بينما (العهد الجديد) يشمل الأناجيل وأعمال ورسائل الرسل .

(٣) عن الدكتور آرثر روبن .

للعقوبات والمكافآت التي سيستحقها اليهود حسبما يكونوا
قد عصوا أو أطاعوا الشريعة .

٩) وإن رسالة الأنبياء لليهود هي ، فقط ، اتباع الشريعة
لكي يأتيهم (الوعد) - أي أن يملكوا الأرض ومن
عليها - وإلا عوقبوا بالهو من الوجود .

وبناء على ذلك كله لا مناص أمامنا من الجزم بأن تاريخ
اليهود مختلف على نطاق واسع ، وقد اختلقه المتآمرون البابليون
وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين
وذريتهم ، تفرض عليهم تنظيماً باطشاً تحت أمرة الشريعة ، ومن
ثم إضفاء ثوب الدين عليهم ، لإخفاء وتبرير غاياتهم الاجرامية
ضد العالم .

وقد استعار واضعو المؤامرة الافكار من مضيفهم البابليين ،
ثم أضافوا اليها تقاليدهم القبلية الخاصة بعد تنميقها وتزيينها ، ثم
أطلقوا مخيلاتهم الخصبية العنان .

إله اسرائيل

على الأبرياء من المسيحيين أن يتذكروا دوماً ما هو مفهوم اليهود لاهمهم القبلي « يهوه »^(١) ، وأن يتذكروا أيضاً أن « الغويم »^(٢) ، ليس لهم الحق بتسميته إلهاً لهم ، أي إله لغير اليهود . انه رب اسرائيل ، واسرائيل وحدها ، قدوس اسرائيل الأوحد : « لأنك شعب مقدس للرب الهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض » (سفر تثنية الاشتراع ٧ : ٦) ، « أنا الرب إلهكم الذي فرزكم من بين الأمم » (سفر الأخبار ٢٠ : ٢٤) .

ويتساءل المرء ، بشيء من الاستغراب ، بعد قراءة التوراة ، من هو الذي اختار الآخر ، أهو الرب الذي اختار شعبه ، أم هو الشعب الذي اختار ربه .

(١) راجع تفسير كلمة (يهوه) في الملحق .
(٢) راجع تفسير كلمة (الغويم) تحت العنوان التالي .

ويدعي اليهود بفخر أنهم هم الذين ابتدعوا فكرة التوحيد، أي الإله الواحد ، لكن طريقتهم في تثبيت واستكمال هذه الفكرة في التوراة لم تكن بالطريقة المستحسنة أو المستحبة ، فكتبهم لا تشير الى الإله الواحد إلا من خلال سيطرته على الآلهة الأخرى وتحطيمه لها . والوصية الأولى لا تشير الى إله واحد كوني وأزلي ، بل الى إله إسرائيل وحدها ، والذي يجب على اليهود عبادته دون غيره من الآلهة : « أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي » (سفر تثنية الاشتراع، ١٥ : ٦ - ٧) . أما هذه الآلهة الأخرى ، فقد أتى ذكرها باستمرار في العهد القديم ، إذ أضاف الفريسيون فكرة جديدة أخاذة الى مفهوم الرب القبلي السامي لدى اليهود : سيقوم (يهوه) على تحطيم الآلهة الأخرى جميعها ، ويحكم الأرض عندئذ وحده ، دون غيره من الآلهة إذ يكون قد انتصر عليها ، وذلك بواسطة شعبه المختار : « الرب رهيب عليهم فيستأصل جميع آلهة الأرض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه جميع جزائر الأمم » (نبوءة صفنيا ٢ : ١١) .

الغويم

لا يستطيع غير اليهودي أن يفهم التوراة فهماً صحيحاً ما لم يدرك تماماً معنى ومدى شمول الكلمة العبرية «غوي»، وجمعها «غويم» . وترجمت هذه الكلمة في النص الانكليزي الى « الأمم » (١) ، أو « الشعوب » ، وهم غير اليهود ، أو الغرباء ، أو الذين لم يقبلوا باليهودية كدين . ولئن كانت هذه الترجمة صحيحة حرفياً ، إلا أنها لا تعطي القارىء غير اليهودي ردة الفعل العاطفية المثيرة التي تخلقها كلمة (غويم) في الذهن الفريسي . وحسب الظروف أو النصوص المستعملة بها ، تعني كلمة « غويم » بالنسبة لليهودي ، تارة العدو العالمي المكروه ، وطوراً السعادين الحليقة المحترمة ، والحبيبات البشرية ، أو قطيع الغويم الغبي ، أو الإرث الذي وعدم به يهوه .

لذلك ، ففي مقاطع التوراة التي تلي في هذه الدراسة ، سنعيد كلمة غويم الى مكانها الطبيعي ، لنعطي القارىء غير اليهودي المفهوم الحقيقي للوصايا الحاقدة المتعلقة بكل البشرية ، خلا شعب إسرائيل .

(١) راجع كلمة (الامم) في الملحق .

ولادة «المواورة»

ذكرت المراجع السابقة التي أشرنا إليها أن نبوءة «حزقيال»، الموضوعية بين السنوات ٥٩٢ و ٥٧٠ قبل الميلاد ، كانت بداية سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية كدين . وهذا الواقع تدعمه حقائق دامغة . فنبوءة «حزقيال» تتجاهل تجاهلاً تاماً الهكزاتوك ، أي الأسفار الستة الأولى من التوراة ، مما يحمل على أن هذه الأسفار الستة لم تكن موجودة البتة في زمن «حزقيال» . ومما يلفت النظر بشكل خاص ، بل مما يذهل حقاً ، أن «حزقيال» لم يأت البتة على ذكر موسى ، الرجل الأكبر لدى اليهود قاطبة ، مع ما له من مكانة عظيمة لدى اليهود . وقد قام (حزقيال) ، عوضاً عن ذلك ، على وضع الشريعة منفرداً .

وقد أتت نبوءة «حزقيال» ، وللمرة الأولى وان كان ذلك بشكل بدائي ، على تقديم الفكرة القائلة أن السبي إلى بابل ليس سوى أسلوب «يهوه» في تطهير إسرائيل المتمردة والملحدة والمتفسخة ، لتكون جاهزة للسيطرة على العالم عن طريق حكومة يهودية عالمية تقوم على دين «يهوه» .

أما كلام حزقيال الكثيف الغزير والبدائي في آن واحد ، فقد وضع الكتبة (١) اللاحقين في مأزق حرج ، خاصة بعد أن تم وضع كتب الأنبياء واستكمل نظم الشريعة ، إذ جعل حزقيال من نشوء اليهودية الحقيقي أمراً يكتنفه الغموض ، لما بين حزقيال وباقي التوراة من التناقض . ولولا جهود حنانيا بن حزقيآ ، لاندثر تراث حزقيال وضاع ، لما لاقاه من تجاهل من قبل الكتبة .

ونجد في نبوءة حزقيال الكثير من الأفكار والرموز والكلمات مرتبة بتتابع منطقي ، وقد أصبحت فيما بعد ثابتة في الكتابات اللاحقة . وقد كانت نبوءة حزقيال ، بالنسبة للكتبة اللاحقين ، كمثل البناية المهجورة التي يأخذ منها البناؤون المواد المتروكة لرفع أبنيتهم الجديدة . وقد أنقذت نبوءة حزقيال من الضياع بأعجوبة ، كما ذكرنا ، وبقيت كما هي صافية غير محرفة ، بينما ضاعت بعض الكتب الأخرى ، أو أخفيت لاندري ، مثل (كتاب حروب الرب) ، المذكور في « سفر العدد » ٢١ : ١٤ .

ونبوءة « حزقيال » بقيت وحدها صافية غير محرفة من بين باقي كتب العهد القديم ، كما كتبها مؤلفها الأصلي (٢) بأسلوبه

(١) انظر « الكتبة » في الملحق .

(٢) يذكر الثقات في معرض الحديث عن نبوءة « حزقيال » فقط أنها من تأليف كاتبها الأصلي ، على الأقل في معظم أجزائها ، بينما يشككون في أن باقي الأسفار قد كتبها الأشخاص الذين تحمل هذه الكتب أسماءهم .

البارع من أولها إلى آخرها . وخيال حزقيال المتأجج الجبار
والجريء المبدع دفع حفنة من الحاقدين إلى ركوب أكبر وأخطر
مؤامرة في تاريخ البشرية كلها . وتتالي الزمن على وضع «التوراة»
والكتب اليهودية المقدسة الأخرى بحيث أصبحت أكثر تهديبا
وبراعة في الوضع ، لكنها غامضة لا يدركها سوى القلائل من
المختارين ، وتوجت في « تلمود بابل » و « القبالة » . وليس هناك
من شك أن الكثير من الكتب المقدسة اليهودية الأخرى كانت
موجودة إلى جانب « كتاب حروب الرب » ، المذكور فيما سبق ،
لكنها اندثرت ، إنما قد ذكر حزقيال بعضها ، مثل «شريعة
الكهنة» (٢٦:٧) ، والسجلات الملكية وسجلات السلالات . وكما
ذكرت « الموسوعة اليهودية » ، فقد أُعيد وضع كل تاريخ اليهود
من وجهة نظر فريسية بعد « حزقيال » ، كما أُعيد وضع جميع
الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة .

. ولم يكن « يهوه » ، قبل « حزقيال » ، سوى إله آخر من
الآلهة القبلية السامية ، لا يختلف عنها بشيء ، مثله مثل (بعل -
مردوخ) في بابل ، و (ملكارت) في صور ، و (آشور) إله
الآشوريين . وقد أتى « حزقيال » فأضفى عليه صفات من
الألوهية لم تكن موجودة فيه .

وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكلها النهائي في بابل ، جعل
من البديهي أن تتأثر بالديانات والمعتقدات التي كانت مسيطرة

هناك في ذلك الزمان . ويقول أحد المراجع اليهودية الصميعة^(١) في هذا الموضوع : « ان تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الأخرى التي نمت وترعرعت في وادي الفرات ... إن الأصول القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية ، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية » (قاموس التوراة ، منشورات « سكريبنر » نيويورك ، ١٩٠٩) (٢) .

A Dictionary of the Bible, Charles Scribner's (١)
Sons, New York, 1909.

(٢) لأجل معلومات ودراسات أوسع عن موضوع دين بابل وكذلك أساطيرها وتأثير ذلك على نشوء وتطور الدين العبراني ، اراجع كتاب قيم جداً نشر عام ١٩٥٢ وأعيد طبعه تبعاً ، اسمه (الانسان وآلهته) ، تأليف هومر سميث ، منشورات (يونيفرسال لايبيري)

Man and his Gods, Homer W. Smith, Universal
Library, 1956.

في الصفحات ٩١ وما يليها من طبعة ١٩٥٦ ، مما لا مجال لذكره هنا نظراً لطوله وتوسمه في الموضوع .

ملاحم اليهود الاسطورية

كان على الكتبة البابليين مؤلفي (التوراة) أن يهثوا المنفيين اليهود نفسياً للرحيل من بابل ، ومنها يقومون على احتلال العالم كما وعدم « يهوه » . والطريق إلى ذلك ستكون طبعاً طويلة وشاقة ، ومن المستحسن أن يكون لها سابقة في تاريخ اليهود . لذلك ، فقد أُلّفوا ملحمة ، تصف بعبارات اسطورية قصة رحيل سابق من بلد قوي آخر ، مصر^(١) ، ثم كيف سيحتلون بعد ذلك الأرض « التي تدرّ لبناً وعسلاً » (حزقيال ٢٠ : ٦) . أما قصة ضياعهم في الصحراء لمدة أربعين عاماً ، فغايتها تبيهم إلى أن الطريق ستكون صعبة ، وأن أجيالاً ستمر قبل أن يتحقق « الوعد » .

وقد جاء على لسان القديس بولس ؛ أحد حواربي السيد المسيح وهو حاخام يهودي سابق اعتنق المسيحية والتحق بتلامذة

(١) انظر « الخروج من مصر » في الملحق .

السيد المسيح وتبوأ مركز الصدارة بينهم ، أحاديث كثيرة مسجلة في رسائله المختلفة ، تعطي البرهان على أسطورية أسفار التوراة القديمة ، فيقول مثلاً : « انه مكتوب انه كان لإبراهيم ابنان ... وذلك إنما هو رمز » (رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ، ٤ : ٢٠ - ٢٤) (١) .

وكذلك نجد أن معظم الروايات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي ، إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة ، جرى تحويرها وتعديلها بحيث تتماشى مع الرواية الفريسية عن تاريخ اليهود ، مثل قصص التكوين والنمرود والطوفان ، وبرج بابل ، وغيرها .

وقد كان موسى بطلاً أسطورياً بالنسبة لليهود ، مهمته أن يكون المتكلم باسم « يهوه » . ولعل المؤلفين الفريسيين قد لاحظوا نقطة الضعف في الرواية التي ألفوها ، وهي عدم وجود أي شاهد على الرواية غير موسى ، فجعلوا من « اجتماعات القمة » بين موسى و « يهوه » اجتماعات سرية للغاية ، بناء على تعليقات « يهوه » نفسه ، إذ أعطى هذا الأخير تعليقات مشددة لكي لا يتجسس أحد عليها : « وقال الرب لموسى ... واجعل حداً للشعب من حوالبه (أي جبل سيناء حيث حصلت الرواية) وقل لهم

(١) أفظر « رمزية البنتاتوك » في الملحق .

احذروا من أن تصعدوا الجبل أو تمسوا طرفه فإن كل من مس
الجبل يقتل قتلاً لا تمسه يد بل يرحم رجماً أو يرمى بالسهم بهيمة
كان أو إنساناً لا يبقى عليه « (الخروج ١٩: ١٠ و ١٢ - ١٣) .

ولا نستطيع ، مها حاولنا ، أن نجد سنداً تاريخياً يؤكد
قصص « سفر الخروج » ، فالتاريخ المصري ، وهو تاريخ مواز
زمنياً لروايات « الخروج » جرى تسجيله بعناية ودقة بالغتين ،
يرفض بعناد واصرار أن يعطينا أي تأكيد أو إشارة لهذه
القصص . أما مشاق ومتاعب اليهود المذكورة في « سفر الخروج »
والمجاعة الكبرى والكوارث الطبيعية العظيمة التي أصابت مصر
كما ذكرتها التوراة ، فلا مخرج أمامنا سوى الجزم بأن اليهود قد
ادّعوا لأنفسهم لكي يعطوا ذويهم أمثلة عن العذاب والاضطهاد
الذين سيصيبانهم عندما تثور عليهم شعوب « الغويم » ، فتتأجج
لدى اليهود عاطفتي الحقد والانتقام ، كما تعطيهم أمثلة حية عما
سيفعله « يهوه » بهؤلاء « الغويم » ، إذا ما ثاروا على اليهود
واضطهدوهم .

والأسفار الخمسة الأولى من التوراة تعطينا أمثلة عديدة عن
الصفة الخيالية والأسطورية للقصص الواردة فيها . فالأسماء فيها
أسماء رمزية ، وكلمة « آدم » معناها (الرجل) و (حواء)
معناها (الحي) ، و (قابن) معناها (أخذ) ، و (إبراهيم)
معناها (أبو الذرية الكبيرة) ، و (إسرائيل) معناها (أمير
الله) ، و (يوسف) معناها (الزيادة) ، الخ ... كما أن أسماء

سلالات (نوح) هي أسماء بلدان ، ومنها « آرام » (سورية) ،
 و « مدّين » (صحراء الأردن) ، و « مزرائيم » (مصر) ،
 و « كنعان » (فلسطين) ، و « إيلام » (العجم) ، و « آشور » ..
 والجدير بالملاحظة أنها أسماء دخلت للمرة الأولى إلى التوراة في
 « حزقيال » كأسماء لبلدان ، وقد اقتبسها الكتبة اللاحقون
 لإطلاقها على أبطال رواياتهم .

وكون تاريخ اليهود معظمه أسطوري جعل مدونوه يسرحون
 بخيالهم في التوسع فيه ، طالما ليس هناك أساس له ، وهي طريقة
 دينية يهودية متعارف عليها اسمها (المدراس) (١) . وهاكم نبذة
 قصيرة عن طريقتهم في التوسع في أساطيرهم عند وصفهم أبطالهم
 التقليديين ، وعلى رأسهم بطل أبطالهم بلا منازع يعقوب ، الذي
 سمي فيما بعد (اسرائيل) أي (أمير الله) . يعقوب كما نعلم ،
 تزوج ليا ثم راحيل اختها .

« ناحت راحيل : كيف تمضي ليلة كاملة مع أختي هذه دون
 أن تلاحظ الفرق بيننا ولا مرة واحدة؟ ألم تلمس شعرها الحشن؟
 ألم تشعر بيديها السمينتين الثقيلتين حولك ، وعندما قبلت
 حلماتي ، كما اتفقنا ، ألم تدرك مباشرة انها لم تكن أنا ، وانه
 كان عليك أن تفتش عنها على بطنها ، أو على الوسادة إلى جانبها » (٢) .
 هكذا يبني اليهود أساطيرهم !

(١) أنظر المدراس في الملحق .

Rachel's Lament , By Shlomo Katz (٢)

الشرية

من خلال روايتهم عن موسى ، فرض المؤلفون البابليون على شعبهم « الشريعة المنزلة من الله » ، وقد توجت بتعليمات رهيبة على اليهود اتباعها لكي يستحقوا « الوعد » ، وغاية هذه « الشريعة » كما يظهر للقارئ الحصيف ، تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على أعدائهم من « الغويم » . و « الشريعة » تركّز تركيزاً خاصاً على الحق الأبدى الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين ، أي « الغويم » .

« وأرسل هيبتي أمامك وأكسر جميع الغويم الذين تصير اليهم واجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين وابعث الزنابير أمامك فتطرد الحويّين والكنعانيين والحثيين من وجهك لا أطردهم من وجهك في سنة واحدة كيلا تصير الأرض قفراً فتكثر عليك وحوش الصحراء ، لكنني أطردهم قليلاً قليلاً من أمامك إلى أن تنمي فترث الأرض واجعل تخمك من بحر القلزم إلى بحر فلسطين

ومن البرية إلى النهر فأني أسلم إلى أيديك سكان الأرض فتطردهم
من أمام وجهك لا تقطع لهم ولا لآلئهم عهداً ولا يقيموا في
أرضك .. (الخروج ، ٣٣ : ٢٧ وما يلي) .

« وإذا أدخلك الرب إهلك الأرض التي أنت صائر إليها
لترثها واستأصل أمتاً كثيرة من أمام وجهك ... وأسلمهم الرب
إهلك بين يديك وضربتهم فابسلهم إبسالاً لا تقطع معهم عهداً
ولا تأخذك بهم رافة .. بل كذا تصنعون بهم تنقضون مذابحهم
وتكسرون أنصابهم وتقطعون غاباتهم .. إنك شعب مقدس
للرب إهلك وإياك اصطفى الرب إهلك أن تكون له أمة خاصة
من جميع الأمم التي على الأرض » (سفر تثنية الاشتراع ٧ : ١
وما يلي) .

« وتفترس جميع الغويم الذين يدفعهم اليك الرب إهلك فلا
تشفق عيناك عليهم .. » (تثنية ٧ : ١٦) .

هذه خلاصة « الشريعة » لنيل « الوعد » . وأوامر « القتل
الجماعي » هذه تتكرر في كل التوراة التي تنظم حياة وتفكير
اليهودي وعاداته ، وعلينا أن نتذكر دوماً أن التعاليم اليهودية
هذه تقرأ سنوياً في كل كنيس بالعالم .

ومن المفيد التذكير بأن واضع الأسفار الخمسة الأولى من
التوراة هو ، حسب العرف اليهودي ، موسى ، ذلك الشخص

الاسطوري والمجرم الفار من وجه العدالة^(١) (حسب وصفهم هم له) ، موسى ، النموذج الأكبر بالنسبة اليهم ، ماذا فعل بعد هروبه من مصر أول مرة ؟

التجأ إلى « مِدْيَن » ، فأخذه كاهنها « يَتْرُو » إلى داره وآواه ثم زوجه ابنته « صِفْثُورَة » ، وبعد ذلك عاد إلى مصر ومنها قاد « الخروج » الكبير الاسطوري وعاد إلى « مِدْيَن » ، حيث استقبله حموه « يَتْرُو » أحسن استقبال هو ومن معه من العبرانيين وأحسن وفادتهم ، وزود موسى بنصائح ثمينة عن كيفية إدارة شعبه : « والآن اسمع مني ما أشير به عليك فيكون الله معك .. » (الخروج ١٨ : ١٩) ، والفصل ١٨ من « سفر الخروج » يعطي القصة الكاملة لحفاوة « مِدْيَن » الثانية والبالغة لموسى وإكرامها له . فماذا فعل موسى ، الشخص الكامل والنموذجي ، ردّاً لهذا الجميل ؟

« وكلم الرب موسى قائلاً انتقم نعمة بني اسرائيل من المدينيين ... فقاتلوا مِدْيَن كما أمر الرب موسى وقتلوا كل

(١) « وعندما كبر موسى ، قتل مصرياً كان قد قتل يهودياً ثم فر من مصر » (موسوعة فانك أند فاغنلز ، ص ٦٢٢٢ الجزء ١٧ ، ١٩٦٩) . « ونظر موسى فإذا برجل مصري يضرب رجلاً عبرانياً من اخوته ، فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ، فقتل المصري وطمره في الرمل .. وسمع فرعون بهذا الخبر فطلب أن يقتل موسى ، فهرب » (سفر الخروج ٢ : ١١) .

ذكر ... وسبى بنو إسرائيل نساء مدّين وأطفالهم .. (سفر العدد ، ٣١ : ١ و ٧ وما يلي) . لكن موسى رغم ذلك لم يكن راضياً عن كل ما حصل ، فقد ترك جنده الأطفال أحياء ... « فسخط موسى وقال لهم ... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها ، أما أناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم » .. (العدد ، ٣١ وباقي الفصل) .

وهكذا الهمهم « يهوه » ، يدفع اليهم (تثنية ٧ : ١٦) بكل شعوب الغوييم ليفعلوا بها ما فعل موسى بمدّين ، فقد « سمع الرب صوت اسرائيل ودفع اليهم الكنعانيين فابسلوهم هم ومدنهم » ، (العدد ، ٢١ : ٣) ، وكنعان ، كما نعلم ، أول بلد استضاف العبرانيين على ضفاف الأردن وهم هاربون من غزو فاتحي بلدهم « أور » ومن المجاعات والمتاعب التي تعرضوا لها . وكذلك ، فقد « دفع » اليهم بأريحا « فابسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحقى البقر » ... (يشوع ٦ : ٢١) . وكذلك أيضاً « قال الرب ليشوع ... قم فاصعد إلى العي ... وأحرق يشوع العي وجعلها تلّ ردم ... وملك العي علقه على خشبة » (يشوع ، ٨ : ١ و ٢٨) . كذلك أيضاً وأيضاً « صنع بهم يشوع كما قال الرب ... وضربوا كل نفس فيها بجد السيف وابسلوهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار » (يشوع ، ٢١ : ٩ و ١١) .

وكما نلاحظ ، فإن « يهوه » ، إلى جانب دفعه « بالغويم » إلى بني إسرائيل « ليلسلوهم ابسالاً » ، كذلك يأمرهم بقتل كل نفس منهم ، وحتى الحيوانات... ما عدا ، طبعاً « الاناث... اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال » فيستبقوهن لأنفسهم . ولا شك أن « يهوه » يفضل لشعبه المختار البكارى على الثيبات !!..

إله الحرب الجديد هذا ، « يهوه » ، مقاتل باطش ومخطط محنك ، لا يستهين بأعدائه مهما قلَّ عددهم ، ولا يترك شاردة أو واردة إلا ويخطط لها ، ويحسب لكل الامور ألف حساب ، فهو لا يؤمن بترك أي من الأعداء حياً : « وإن لم تطردوا أهل الأرض من وجهكم كان من تبقونه منهم كإبرة في عيونكم وكحربة في جنوبكم يضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون بها (والتي أعطاكم إياها يهوه) » (العدد ٣٣ : ٥٥) . ولهذا الاستراتيجية محسنات اخرى ، فلعلّ « يهوه » لا يؤمن أيضاً بأخذ أسرى من الأعداء لما في ذلك من مشاق وكلفة ومخاطر .

والقائد المحارب الذي لا يملك سيطرة كافية على جنوده ليس قائداً ناجحاً . وأرفع أنواع الهيبة والسيطرة هي الخوف والتهديد ، فإن لم تتبع أوامره بالقتل والابسال « فيكون اني كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم » (العدد ٣٣ : ٥٦) .

وحذار ألا تطيعوا « يهوه » ، والويل لكم إن سوّلت لكم نفوسكم اتباع رب غيره ، لعل الرب الجديد أرحم وأكثر تسامحاً

كما هو مفروض بالإله ، فإن ذلك سي جلب لكم ليس فقط
المصاعب ، بل الهلاك أيضاً : « فإن نسيت الرب إلهك (يهوه)
واتبعته (غيره) ... فأنا شاهد عليكم اليوم بأنكم تهلكون
هلاكا » (تثنية ٨ : ١٩) ، والتهديد يكون فارغاً إن لم يكن
واقعياً ولم يعطِ مثلاً عما يصير بالذين يعصون الأوامر « كالغويم
التي أبادها الرب من أمامكم تهلكون لأجل انكم لم تسمعوا لصوت
الرب إلهكم » (تثنية ٨ : ٢٠) .

وهكذا ، إن لم يقتل اليهود أعداءهم قتلهم « يهوه » ، وهو
قادر على ذلك وقد فعله من قبل . فلا عجب إذن إن كان همّ
اليهود الإبادة الجماعية للغويم ، فالخطر عليهم ، إن لم يفعلوا
ذلك ، كبير من إلههم .

أسفار التوراة

يجمع الباحثون والعلماء ان كتاب « حزقيال » وضع أولاً ،
ومن ثم ركّبت من حوله الكتب الأخرى ، وعلى رأس هؤلاء
البحاثين العلماء اليهود أنفسهم .

وكما سبق وذكّرنا ، فإن العلماء اليهود سابقون في هذا المضمار ،
ولعل تسرعهم في كشف الحقائق الخفية في كتبهم المقدسة ، والتي
بقيت عصوراً طويلة مقبولة دون مناقشة ، غاية استباق أي
تدقيق قد يقوم به العلماء من غير اليهود ، وهكذا يكسبون
صفة العلماء الموضوعيين ، بينما هم ، في الواقع ، لا يخافون أن
يضعف إيمان اتباعهم الأعمى بكتبهم وتعاليمهم .

وليس ذلك بحاجة إلى برهان ، فنحن نراه يوماً بعد يوم .
وعالم يهودي هو الذي أعطى تفسيراً لهذه الظاهرة ، فقد قال
الدكتور آرثر روبن (أنظر الحاشية ٢ ص ١٨) أن زعماء اليهود
الأولين قد خططوا بدقة لكي يبقى اليهود كتلة واحدة متماسكة ،

وذلك باتخاذهم سلسلة من « الإجراءات الاستثنائية » بحيث أصبح « انزال اليهود واقعاً كاملاً وأزلياً » ، وأمكن ابقاؤهم طوال هذه القرون تحت سيطرة زعمائهم الكاملة ، وهؤلاء قد أثبتوا ، على مرّ الأجيال والعصور ، كفاءة نادرة في هذا الحقل إذ خلقوا جيلاً بعد جيل من اليهود الذين كيّفت عقولهم لقبول فكرة « المرق الذي نشأ وترعرع وراء الجدران المحصنة » مما يؤدي ، منطقياً وواقعياً ، إلى بقاء سيطرة الزعماء . فالدين اليهودي ليس « ديناً صحيحاً » ، بل منظمة قتالية تلبس لبوس الدين ، غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودي » ، والعبارات بين المعترضين كلها مأخوذة عن الدكتور آرثر روبن المذكور في صدر هذه الدراسة^(١) .

(١) يلاحظ أن المؤلف لا يتطرق إلا قليلاً لماهية « الشريعة الموسوية » فيما يتعلق بالعلاقات بين البشر ، ولعل من الجدير بالذكر ان هذه الشريعة تضع الخطوط العامة للعلاقات بين الناس ، ثم تطبق حسب تفسيرات الحاخامين . وقد دونت هذه التفسيرات كلها بهامش نص التلمود ، وفي بعض الأحيان تأتي بعض التفسيرات متناقضة ، بحيث يختار القارئ الجديد ايها يطبق .

يقول الحاخام المعاصر آدين شتاينزالتز : « أحياناً نجد موضوعاً وبهامشه نجد حوالي صفحتين تحاولان تفسيره وأحياناً أخرى نجد جواباً يعتقد واضعه أنه الجواب الصحيح ، لكن الأجوبة الأخرى لم تشطب من النص بحيث نجد تفسيرين أو أكثر لكل نص ، تتناقض أحياناً » .

ومن الذين وضعوا تفسيرات أو اجتهادات هامشية على التلمود موسى بن ميمون المشهور . ومن بين تفسيراته هذا الاجتهاد الطريف ، ترجمه إلى العربية العامية الحاخام الدمشقي أبو المافية من (سفر قها ورقة ٣٦٦) «لما يصدف مشروعية بين يهودي وبين مصري هكذا يكون التخرج تنظر ان كان اليهودي يطلع له =

وهكذا ، فليس هناك أي ضرر ان حطمت بعض الحقائق ، طالما أن الأساس لم ولن يمسّ ، وطالما أن الذي يحطمه اليهود ، بمحاولاتهم العلمية هذه ليس كتبهم المقدسة ، بل بالواقع هو كتاب المسيحيين المقدس ، إذ دمج « العهد القديم » إلى « العهد الجديد » ليصبحا « الكتاب المقدس » لدى المسيحيين . أما كتاب اليهود المقدس الحقيقي ، فهو كما نعلم ، « التلمود »^(١) ، أما « التوراة » فهي مجرد كتاب تاريخي أسطوري في معظمه . ولا خوف مطلقاً على « التلمود » طالما أنه لا ولن يقع بيد العامة ، حتى اليهود منهم ، وطالما ان ما كتب فيه منذ أقدم العصور لا تجري مناقشته أو تحريفه ولا حتى تعديل صفحاته في الطباعات المتتالية .

قلنا ان كتاب « حزقيال » وضع أولاً ، ومن ثم تمّ وضع باقي الكتب كلها ، بعد أن اكتشف الكتبة الفريسيون الإمكانات الواسعة التي فتحتها أمامهم « حزقيال » بخياله المتأجج .

وقد تعمق « اشعيا » وتوسع في بعض مقاطع من « حزقيال »

= الحق في شريعة المصري يروح اليهودي يشارعه في شريعته ويقول له: هكذا شريعتم وإذا شاف انه أحسن لليهودي في شريعة اليهود لا يشارعه غير في شريعة اليهود ويقول له هكذا شريعتنا ، وقال العالم المذكور «لا تتمجبوا ولا يصعب عليك هذه الحالة»... (الأصول العربية - الدكتور أسد رستم ، من ٣١ - ٣٢) .

(١) أنظر الملحق ، التلمود .

بشكل هادىء وعميق على طريقة « المدراس » الذي أخذنا نموذجاً عنه في « نوح راحيل » الذي سبق ذكره ، بينما كان « ارميا » أكثر حذقاً ومكراً . وأتى بعدهم « دانيال » ، وكان أكثرهم غموضاً ، ونبوءاته من النوع المستعصي . وتقول « الموسوعة اليهودية » حذاء كلمة « المسيح الدجال Anti - Christ » : « في زمن المكابين (أي حوالي ١٦٠ ق. م .) انشقت فكرة تقديم فلسفة كاملة لتاريخ العالم ، وقد قام بهذه المهمة (دانيال) بشكل بارع » .

وكل هذه الكتب تنبأت بقيام مملكة « يهوه » حيث يسيطر اليهود على شؤون العالم « ويرثون الأمم » ، إلى أن يقول « أشعيا » (٦٠ : ٢٠) : « لا تقرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً وتكون أيام مناحتك قد انقضت ويكون شعبك كلهم صديقين وإلى الأبد يرثون الأرض » .

لكن ما أن أتى « دانيال » حتى كان اليهود قد أخذهم الاستنكار والسخط لأن « الوعد » لم يتحقق . فسارع « دانيال » إلى تهدئتهم ، منبئاً إياهم أن الرب سيعلمهم بالوقت المناسب متى سيتحقق « الوعد » ينتهي سخطهم : « وقال إني أعلمك بما سيكون في آخر السخط فإنه يتم في الميعاد المحدود » (دانيال ٨ : ١٩) ، فلا تقلقوا يا بني إسرائيل ولا تتحول مناحتكم إلى سخط ، لأنه في الوقت المحدد « هذه هي الضربة التي يضرب بها الرب جميع الغوييم الذين تجندوا على اورشليم . لحومهم تذوب

وهم واقفون على أرجلهم وعيونهم تذوب في وقوبها وألسنتهم
تذوب في أفواههم » (زكريا ١٤ : ١٢) .

إن صلاة اليهود الأكثر تردداً اليوم هي التالية : « فليتمجد
ويتقدس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته ،
ولتتحقق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بني
إسرائيل ، بسرعة وبالقريب العاجل ، آمين » (عن كتاب
الصلاة للسبت والأعياد ، الصادر عن شركة النشر العبرية) .

وإذا بقي لدينا أي شك في معنى صلواتهم وماهية « الوعد » ،
فما علينا سوى الرجوع إلى « الموسوعة العبرية » أمام كلمة
(الإيمان بالأخريات Eschatology) : « إن تحطيم جيوش
يأجوج ومأجوج لا يعني ، كما قال « ويبر » خطأ إبادة عالم
الغوييم عند انتهاء عهد المسيح المنتظر ، بل إفناء كل سلطة وبلد
تعارض ملك « يهوه » وتحقيق عهد المسيح المنتظر ، والشعوب
التي ستخضع عندئذ للشرعية ستبقى على قيد الحياة ... وهكذا
« يكون في كل الأرض يقول الرب ان ثلثين منها ينقرضان
ويضمحلان والثلث يستبقى فيها » (زكريا ١٣ : ٨) ، أما
الأرض المقدسة نفسها فلن يسكن فيها أحد من الغرباء .

كتب التعاليم

لو تعمقنا في كل من أسفار « التوراة » ، لوجدنا أن كلاً منها له غاية خاصة به ومحددة ، تعطي اليهود الأمثلة والوصايا والتعليقات ، كما تعطينا نحن معينا لا ينضب من المواقف والحقائق التي يجدر بنا التوقف عندها بعناية وتعمق ، لما فيها من الدروس والعبر ، وكذلك الأخطار التي تنتظرنا من تحقيق « الوعد » . ولنأخذ هذه الكتب الواحد بعد الآخر .

« سفر أستير » مثلا ، هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين ، إذ هو درس وضع وصفيق عن كيفية دفع سلطة الغويم إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت امره اليهود الماحقة والباطشة . أما احتفالهم العرييد والتهتك بعيد « الفوريم » (١) ، إنما هو احتفالهم بذكرى قتلهم ٧٥٠٠٠ من الفرس حاولوا مقاومة ابتزازهم لأموالهم وانتهاك أعراضهم ، كما أن « عيد الفصح »

(١) أنظر عيد الفوريم في الملحق .

الدموي هو احتفالهم بذكرى القتل التقليدي للولود الأول المصري . وفي « سفر أستير » نجد تفسيراً لاختيار ألوان علم اسرائيل ، وكذلك ألوان علم الامم المتحدة^(١) « وخرج مردكاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والأبيض » .. (أستير ٨ : ١٥) .

أما كتابا « سفر الأمثال » و « سفر الجامعة » فمثلان حكمة وتوصيات لأعضاء المؤامرة لكي يبلغوا النجاح المطلوب . وقراء « التوراة » من المسيحيين البسطاء لم يحاولوا البتة الاستفادة منها ، فألى جانب تلك الدرة من الحكمة التي توجنا بها هذه الدراسة ، توجد درر لا تقل عنها عمقاً وواقعية « من عمل بكف وانية افتقر وأيدي المجددين تستغني » (أمثال ١٠ : ٤) ، ولعل كف الغويم الوانية هي السبب الذي من أجله لا يستطيعون مزاحمة اليهود اقتصادياً .

« إن ارتداد الأغرار يقتلهم وترف الجهال يهلكهم » (أمثال

(١) اشارة إلى أن الأمم المتحدة هي من صنع اليهود ، ولغاياتهم فقد قال بن غوريون : « إن هدف الأمم المتحدة هو هدف يهودي » (مجلة تايم ١٦ آب ١٩٤٨) كما قال ناحوم سولولوف ، وهو زعيم صهيوني في ٢٧ آب ١٩٢٢ في مؤتمر كارلسباد ، « إن جمعية الأمم هي فكرة يهودية ، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة . وهناك كتب عديدة خصصت فقرات طويلة لهذه الفكرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « اليهودية المعادية للشيوعية » تأليف جورج بيكني ، وأحجار على رقعة الشطرنج للكومندور وليام كاي كار ..

١ : ٣٢) ، وغير ذلك من الأمثلة والنصائح الحكيمة التي لم يظهر الغويم أي اهتمام في تطبيقها على حياتهم العملية وفي معاملتهم مع اليهود ، إلا أننا نجد الكثير من علمائنا يتوقفون مدهوشين عند بعض من هذه الأمثلة ، لا سيما المبتدلة والعادية منها ، دون الالتفات إلى غيرها ، مثل « فليس تحت الشمس شيء جديد » ، (سفر الجامعة ١ : ٩) ، ويجدون فيها منتهى الحكمة .

لنتبع نصائحهم هم في محاولتنا تفهم الخطر المريع الذي يتهددنا ، « لا توبخ الساخر لئلا يبغضك . وبخ الحكيم فيحبك أفد الحكيم فيصير أحكم ، علم الصديق فيزداد فائدة » (أمثال ٩ : ٨ و ٩) ، وقد أعطى السيد المسيح حواريه نصائح مماثلة إذ قال « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها فترجع فتمزقكم » (انجيل متى ٩ : ٦) .

أما غاية « سفر أيوب » فقد كانت تكييف المتأمرين ليقبلوا العذاب والانتظار الطويلين قبل أن يتمكنوا من السيطرة على العالم ، ويتحقق ذلك بالوقت المناسب للذين ثابروا على التمسك بإيمانهم .

ثم يأتي « سفر راعوت » فيصف لنا كيف يجب على المرأة « الغوي » أن تتصرف إن تزوجت من يهودي . وكمثل « سفر استير » وكذلك « نوح راحيل » ، لا يمت « سفر راعوت » إلى الدين بصلة ، بل فيه أحياناً ما يبعث الاشمئزاز إلى النفس ،

لا سيما عند قراءتنا المقطع الذي يصف كيف تراود « راعوت »
« بوغز » عن نفسها .

وأسفار « الملوك » الأربعة هي نموذج للتاريخ القديم المكيف
من وجهة النظر الفريسية ، وغايتها اعطاء البرهان أن النجاح
مرهون بالطاعة العمياء للشريعة .

أما « سفرا أخبار الأيام الأول والثاني » ، فهما « مدراش » ،
أي توسع في نص توراتي ، مستوحى من أسفار الملوك .

وقد توجت هذه الأسفار كلها ، بسفري « عزرا » و « نحميا »
وفيها وصف للظروف التي جرت بها القراءة الأولى للشريعة
الموسوية للفلسطينيين المحطمي المعنويات ، ومن ثم قبول هؤلاء
لعزرا « الكاتب » ونحميا الحاكم كرؤساء لهم .

و « عزرا » هو أول الكتبة ، ومعه ابتدأت تلك الفئة من
المؤلفين الذين « وضعوا » التوراة والشريعة الشفهية ، والتي
سيطرت لقرون عديدة على عقول وجميع مقدرات اليهود . وكان
للكتبة هؤلاء حزب منظم ، هو حزب « الفريسيين » ، وهم
الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين ، أي معلمو الشريعة .

تقول « الموسوعة اليهودية » أمام كلمة « كتبة » : « هم هيئة
من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب . وقد ابتدأ
تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم . وهؤلاء الكتبة كانوا أول
من علم التوراة وهم واضعو الشريعة الشفهية » .

نبوءة حزقيال

ليست غاية هذه الدراسة إعطاء تفصيلات واسعة للأسس التاريخية للتوراة، إنما لو ألقينا نظرة سريعة على (نبوءة حزقيال) لتكشفت لنا أسرار كثيرة مما توسع وتعمق بها العلماء دون إيجاد أي تفسير لها. ولم يمنعم من ذلك سوى تجاهلهم الكامل والعنيد لكتاب «حزقيال» .

ومها كانت وجهة النظر التي التزمنا بها ، ومها حاولنا ، نجد أن كتاب «حزقيال» هو أقدم الأسفار التوراتية ، ولا جدل في ذلك. إلا أن بحاثي الكتب المقدسة يصرون بعناد على تجاهله ، بل قد حاولوا مراراً حذفه بكليته من التوراة .

إن هذا السفر يعرّي التوراة تعرية تامة ، ولعل هذا هو سبب تجاهل ، بل ورفض ، «حزقيال» من قبل العلماء والباحثين . لأن «حزقيال» يضعنا أمام واقع مذهل ، بل ومزعج للبعض : إذا كان كتاب «حزقيال» حقيقياً وأصيلاً ،

فإن جميع الأسفار التوراتية الأخرى ليست سوى « مدراش » يدور حوله ويتوسع فيه ، على طريقة « نوح راحيل » ، كما يدور حول قصص قديمة وأساطير . وهذه النتيجة تعتبر كقرآ من قبل العلماء الملتزمين .

ولهذا السبب ، فقد ضاع الكثير من العلماء في محاولة تفسير بعض طلاس التوراة ، مستشهدين في ذلك بطلاس أخرى وصفها الكتبة الفريسيون في الأسفار الأخرى التي تتكامل وتؤكد بعضها البعض .

خذ مثلاً موقع « جنة عدن » حيث حدثت قصة « التكوين » . إنها قصة أسطورية مأخوذة من الأساطير البابلية ، اقتبسها الفريسيون وكان عليهم إيجاد موقع مناسب لها ، فاختاروا « جنة عدن » (من العبرية ، ومعناها « السرور ») ، إلا أنهم أعطوا لها وصفاً أقل ما يقال عنه أنه خيالي ورمزي ، مما جعل أجيالاً متتالية من العلماء يحارون في تحديد هذا الموقع الخيالي .

والواقع يشير إلى أن « الكتبة » الفريسيين اختاروا هذا الموقع اعتباطاً من وصف « حزقيال » (لجنة الله) ، وبالغوا فيه بما أضاع جميع الباحثين الى يومنا هذا . أما وصف حزقيال « لعدن ، جنة الله » فهو وصف ينطبق على جنوبي لبنان ، ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند « حزقيال » .

ثم « جبل الله » حيث أعطى « يهوه » الشريعة لموسى . أخذ
الكتابة هذا الاسم من « حزقيال » لما وجدوه مناسباً لقصتهم ،
ومن ثم أعطوا وصفاً خيالياً لهذا الجبل مما لا يتفق مطلقاً مع
أبسط وصف لجبل سيناء . و (جبل الله) ، الذي ذكره
« حزقيال » ، يصف أحد المواقع الفينيقية البركانية في حوض
المتوسط ، التي سماها هؤلاء (جبل الله) لما كانت تبعثه في نفوسهم
من رهبة وخوف ، « وقد كنت (يكلم ملك صور) في جبل الله
المقدس وتمشيت في وسط حجارة النار » (حزقيال ٢٨ : ١٤
ومايلي) . لقد أخذوا الاسم والوصف من « حزقيال » ، ثم
وضعوا الجبل في الصحراء حيث لا بركان ولا حجارة من نار .

وكذلك تفسير العلماء « للجَلَد » ، وهو قبة الفضاء التي تراها
العين . تجاهلوا « حزقيال » فضاعوا في محاولة تفسير المقصود
بهذه الكلمة التي توج بها « سفر التكوين » : « وقال الله ليكن
جَلَدٌ في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فصنع الله
الجلد ... وسمى الله الجلد السماء » ... (تكوين ١ : ٦ إلى ٨) .
وابتعدوا أكثر فأكثر حين رجعوا الى التقاليد البابلية فأخذوا
منها تفسيرات لا يحويها « سفر التكوين » ، وكان من الأسهل
طبعاً الرجوع إلى « حزقيال » ، اذ يعطي وصفاً أبسط للجلد ،
حيث يصفه رمزياً ، وكأنه السماء التي يجلس عليها عرش الاله
« يهوه » .

وكذلك وكذلك الكثير من « الأسرار » ، مثل « التعميد »
و « القيامة » و « الشريعة » و « المسيح المنتظر » وحتى « الخروج »
لكن دون أي ذكر لموسى ، وقد أخذ الكتبة هذه القصة
وبنوا حولها اسطورة منمقة معقدة ، وبيننا لم يذكر « حزقيال »
سوى « أبناء يعقوب » (حزقيال ٢٠ : ٥) ، أدخل الكتبة العديد
من أبطالهم الاسطوريين وأولهم موسى ، وغيرها .

الفريسيون

إن تثبيت ما نسميه « المؤامرة » حصل بعد اختلاف سياسي وديني بين فئتين من اليهود ، أدت الى انشقاق عظيم الشأن والتأثير .

وضع الكتبة البابليون الشريعة ، وكما قال الدكتور « روبن » ، اتخذوا اجراءات استثنائية لعزل اليهود عن باقي العالم ، ونظموا حياتهم الخاصة تنظيماً دقيقاً قاسياً ، وفرضوا عليهم شروطاً حياتية تجعلهم تحت رحمة رؤسائهم ما داموا أحياء ، بل وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها بل محاربة من باقي العالم ، عن سابق قصد وتخطيط ، مما لا يحسدون عليه اطلاقاً .

ولقاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب ، أعطوهم « الوعد » بتملك العالم ، لكن بتاريخ لم يحدد .

وكان من الطبيعي أن يفرغ صبر هؤلاء الذين انتظروا وانتظروا وهم يقاسون شظف العيش وتحكم الزعماء . فكانت فترة

« السخط » التي ذكرها دانيال . وكتاب دانيال مشكوك بصحته ، كما هو مشكوك بحقيقة وجود دانيال نفسه . ولعل مؤلف كتاب « دانيال » كان يرمز الى واقعة تاريخية ، تجلى فيها « سخط » فئة من اليهود ضد حكامهم في عهد الملوك « المكابيين » ، إذ ثارت فئة من اليهود حوالي عام ١٦٨ قبل الميلاد ضد حكامهم عندما فقدوا أملهم بالحصول على الوعد ، وقرفوا من ذلك الحقد الدفين الذي يوجهه الرؤساء الدينيون ضد باقي البشرية .

حاول هؤلاء ، وقد أطلق عليهم اسم الصادوقيين ، إذ كانوا من سلالة صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود ، الخروج على زعمائهم « ومؤامرتهم » ، مفضلين العيش بين باقي البشر كعضو عامل حسن النية في المجتمع الانساني ، وكانوا قد تأثروا بالثقافة والمدنية اليونانية . وكان من نتيجة ذلك أن تألف حزب مضاد لحركتهم من اليهود الارثوذكس ، سمو أنفسهم « الفريسيين » أي « المنفصلين » ، وغايتهم الابقاء على اليهود « مفصولين » عن باقي العالم . ومن ثم تغلب الفريسيون على الصادوقيين .

لكن المبدأ الصادوقي ، وهو قبول اليهودية كعقيدة فقط (مع بعض الاختلافات المتعلقة بالعقائد والشعائر) والعيش كأفراد عاديين مندجين في باقي المجتمع البشري ، لم يختلف نهائياً . ففي القرن الثامن قامت في بغداد فئة سميت « القرائية » نسبة إلى « قراءة » الكتب المقدسة ، وليس سماعها فقط ، كما هو الحال في

الشريعة الشفهية ، وقوامها رفض التمسك بسنة التلمود ، الذي يعتبرونه دخيلاً على الدين . وكان زعيم تلك الفئة هو « عنان بن داود » . وقد حوربت تلك الفئة حرباً شعواء حتى أبيدت .

واليوم ، في عصرنا ، أسست في أميركا جمعية تقوم على نفس المبدأ ، واسمها : American Council for Judaism « المجلس اليهودي الأميركي » .

وليس من المدهش طبعاً أن يحارب اليهود الاورثوذكسيون هذا « المجلس » ، لكن المضحك أن يتهموه بالعداء للسامية واليهودية ..!



تلك هي الحقائق المجهولة ، لكن المبهرة ، عن محتوى وغاية التوراة ، وهي تكليف اليهود وتحضيرهم نفسياً ، بل وجسماً أيضاً ، لتملك العالم . و « تلمود بابل » يتجاوز كل ما رأيناه بمكائده الحقيرة المراوغة والحبيثة والحمقى ، التي رائدها جنون الاضطهاد والعظمة لدى مؤلفيه .

والسلاح القديم والتقليدي الذي كيّفه وهذّبهُ اليهود هو دين قتالي حربي يلبس لبوس النماج لإخفاء نواياهم المكيدية . وهكذا فإن اعتداءاتهم الحاقدة الوقحة غير المسببة ولا المخرضة من الغير ،

تبرر دينياً . وكذلك فإن كل سرقاتهم ، وجرائمهم ، وكذبهم لها مبرراتها الأخلاقية . ألم يعدم « يهوه » بإرث الغويم ؟ ألم يؤكد لهم ان مقاومة تحقيق « الوعد » هو عمل منافٍ للسرعة ويجارَب ؟ ألم يكرس الفريسيون الجريمة ويقدموها ؟

والمسألة مجرد نسبية . إذ عندما يفترس الذئب حملاً ، مثلاً ، فأخلاقية هذا الفعل تختلف مع وجهة النظر التي تحكم من خلالها عليه : الذئب يجب أن يأكل لكي يعيش ، وهكذا فمن وجهة نظره ، ان عمله هذا عمل قانوني وأخلاقي . والحمل قد افترسه الذئب ، إذن من وجهة نظره ، فإن عمل الذئب هو أقصى درجات اللاأخلاق والشر .

وما نحن سوى النعاج الغويم . والذئاب الفريسيون ما ففتوا يؤكدون لنا أن واجبنا الأخلاقي هو أن ندعمم يفترسوننا ، فالإبادة الجماعية للغويم هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود .

إن ابتسامة ولا شك ترسم على شفاه بعض القراء عند توقعهم عند كلمة « مؤامرة » . ما هي ، بنظرهم ، هذه « المؤامرة » التي دامت منذ ما يقارب ألفين وخمسمائة سنة ، وستدوم ، صدقوني ، إن لم يوقفها العالم عند حدّها ويميد هؤلاء المهوسين إلى حظيرة البشرية العاملة العاقلة .

سنسميها باسمها ، إذا ، طالما أننا لم نجد كلمة اخرى تقوم مقامها (١) .

لسنا أول من اكتشف « المؤامرة » ، ولن نكون آخر من يتكلم عنها .

كتاب كثيرون مثلنا تطرقوا إلى موضوعها ، لكن أكثرهم ، مع الأسف ، أخذتهم سنة من الهوس حتى رأوها في كل ما حولهم ، في تصرف أقرانهم ، في كل حادث تعرضوا له ، ولو كان طبيعياً وعادياً ، رأوها في المياه التي يشربون ، وفي لفافة التبغ التي يدخنون ، وفي المسارح ، والسينات ، وكل أنواع اللهو والعبث والمجون التي نشاهد حولنا في هذا العصر المتحرر .

قد يكون في معظم ما يقولون بعض الحقيقة ، أو الكثير منها ، لكن ما ينفع الوعظ والغضب وتنميق الكلام ، ان كانت « المؤامرة » ستؤدي بنا الى ما يريد لنا أصحاب « المؤامرة » تماماً ، أن نعيش في جو من الرعب والخوف يقودنا الى الهوس ، وجنون الاضطهاد ، والانطواء ، منتظرين ، بجنوح ، اليوم المشؤوم ، يوم سقوطنا صرعى أمام القوة الباطشة العاشمة .

(١) يريد المؤلف أن يوضح أن عناصر المؤامرة ، حسب التعريف القانوني ، غير مكتملة ، لكن لا يوجد في اللغة كلمة يمكن أن يطلقها في هذه الحالة غير كلمة « مؤامرة » .

أول من رأى الخطر هو المسيح عندما كان يوجه كلامه الى « الكتبة والفريسيين » . ومجال الاستشهاد به طويل .

لكن أقوالاً أخرى من قوم أقل مكانة تسترعي انتباهنا .
بولس أحد حوارى السيد المسيح ، قال عن بطرس انه « تنحى واعتزل (عن المائدة) مخافة من أهل الختان » (رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢ : ١٢) .

أما يوحنا ، فقد سمى بابل « الزانية العظيمة » ، لما هاله ما تفتقت عنه عبقرية الاجرام لدى الكتبة عند إقامتهم فيها .

« بابل العظيمة أم زواني الأرض ورجاساتها » (رؤيا يوحنا ١٧ : ٥) ، بعد أن قال ، متنبئاً بخراب بابل والمؤامرة البابلية « هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة » (١٧ : ١) ، ثم يقول ، وقد زاد تأثره ، « سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت سكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس » (١٨ : ٢) ثم يرى الله ، « وأحكامه حق وعدل لأنه حكم على الزانية العظمى التي أفسدت الأرض بزناها وانتقم لدم عباده من يديها » (١٩ : ٢) .

لكن الجدير بالوقوف عنده هو ولا شك بولس ، وهو الخاطام الفريسي الذي تبرع للذهاب الى اورشليم عن طريق دمشق ليسوق تلاميذ السيد المسيح موثقين الى هناك ، لكنه أصبح مسيحياً بعد رؤيا حدثت له في طريقه الى دمشق .

انه متعلم ، ومتعمق في الدين اليهودي ، فأخذ يحارب اليهود

بما يعلمه عن شريعتهم حق العلم، لذا كان حقد اليهود عليه خاصة عظيماً . اسمعوه يتكلم عن الناموس ، أي الشريعة ، وكهننتها :

« وقد زاغ عن ذلك قوم فعدلوا الى الأقوال الباطلة زاعمين انهم معلمو الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون مع علمنا بأن الناموس لم يشرع للبار بل للأثمة والعصاة والمنافقين والخطأة الفجّار الدنسين لقاتلي الآباء وقاتلي الامهات لسافكي الدم . »
(تيموتاوس ١ : ٦ وما يلي) .

أما اليهود، فله بهم كلمات مشوقة ووصف فريد « بل أعميت بصائرهم لأن ذلك البرقع نفسه باق الى يومنا هذا غير مكشوف عند قراءة (التوراة) حتى انه الى اليوم اذا قرىء موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم . » (كورنثس ٣ : ١٤ وما يلي) .

واليهود ، بنظره ، عازمون على منع كلمة الحق عن الناس « حتى يستتموا خطاياهم كل حين » (تسالونيكي ١ - ٢ : ١٦) .

خاتمة

لم يختار اليهود فلسطين «لمعناها التوراتي والديني بالنسبة اليهم» ، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضاً لأن نخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة نخزون الاميركتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وافريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم ، هذا الكلام ليس لنا ولا هو صادر عن أي من أعداء اليهود والسامية ، بل هو للدكتور ناحوم غولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ (١) .

(١) نشرتها جريدة «الاتحاد الوطني» الناطقة بالفرنسية في مونتريال بعدد ١٢ / ٥٣ لعام ١٩٥٣ «L'Unité Nationale» .

لقد أصبحت قوة اليهود أسطورية ، أو صورت هكذا ، الى درجة جعلت بعض كبار المفكرين والكتاب ينصبون بكليتهم محاولين دراسة هذه الظاهرة ، فتباروا في تحديد نقطة انطلاقها وواضعيها ، ذاهبين في سبيل ذلك الى وضع نظريات أخذت كتباً بل موسوعات لاستيعابها .

ويقيني أن اليهود، إن كانوا حقاً أصحاب مؤامرة، يتسمون في سرهم عند متابعة هذه الدراسات ، فترام لا يعطونها من اهتمامهم الا القدر المدروس بحيث يظل الوهم والخوف مسيطرين على من يسمونهم « غويم » ، أي غير اليهود . فلا يحاولون نفيها إلا بصراخ ضعيف عن العداة للسامية واضطهاد اليهود . ومن حين لآخر، يطلقون كلمة أو عبارة تجدد موجة التربص والخوف لدى الشعوب الأخرى . فالدكتور غولدمان في كلامه المذكور وان كان بالظاهر جزءاً من حملته ضد الفكرة الصهيونية كمبدأ ، إلا انه يركز انتباه المهتمين بالأمر ، إلى حقيقة وجود « المؤامرة الكبرى للسيطرة على العالم » .

ومن دواعي الأسف والأسى ان الذين وقفوا حياتهم ومجهودهم الفكري والعملية لمتابعة أبناء « المؤامرة » والتحقق عنها وعن أصولها وظواهرها ، هم احدى فئتين : اما العاطفيون الذين تنقصهم الموضوعية في دراستهم ، فيكتفون بإطلاق الصرخات الخطابية البليغة ، لكن التي تفتقر الى البرهان الحسي ، أو هم فئة من المهوسين الذين يرون « المؤامرة » في كل مكان ، وفي كل عمل

أو فعل يتجاوز بنظرهم المفهوم والتفسير العادي للأمور ، مثل مقتل زعيم ، أي زعيم ، أو مناوشة كبيرة أو صغيرة ، أو ثورة . وهم مثلاً يرون « المؤامرة » حتى في المياه التي يشربونها ، فهي « ملوثة » بالفلورين كجزء من مخطط لتسميم العالم ..

آخر تلك المحاولات قام بها أحد ضيوف بلادنا ، وهو المهندس لوسيان كافرو ديمار . كتب كتابه المشهور «التحدي الاسرائيلي»^(١) فأتى صرخة من الأعماق تتهم الصهيونية العالمية وتفضح أساليبها ، لكن كتابه مع الأسف يفتقر إلى أبسط الحجج الموضوعية ، ويستند إلى عدد هزيل من المراجع ، جمعها هو بسطرين في مقدمة كتابه ، وأهمها مجموعة جريدة « الموند » .

وقد قدم لنا الكاتب نظرية جديدة مفادها أن نابليون بوناپرت ما هو سوى عميل « للمؤامرة » . ولست أدري من نصدق ، هو أم غي بروتون^(٢) الذي قدم نظرية أكثر تشويقاً ، إذ يقول إن كل ما سعى إليه نابليون كان من أجل المرأة وتعلقه بها وسعيه وراءها ..

ومثل كافرو ديمار كثيرون ممن عاجلوا الموضوع ، ففتقراً

Lucien Cavro - Demars : « Le Defi Israelien » (١)
« Histoires d'Amour de l'Histoire de France » (٢)
Guy Breton .

وتقرأ فلا تخرج سوى بنتيجة واحدة : جماعة من المهورسين ،
وقفوا حياتهم للتعلم في أخبار « المؤامرة » ، فخلق ذلك لديهم ،
أولاً ، حالة من الغيبوبة أخذوا يهدون معها بالمعقول واللامعقول ،
وثم ، ثانياً ، حالة من الخوف المستمر وعقدة الاضطهاد من قبل
أصحاب « المؤامرة » ، بحيث أصبحوا هم محورها ، لا العالم .

كافرو ديمار ، مثلاً ، حكم مسبقاً أن كتابه سيُصادَر ويختفي
وينتقل من يد إلى أخرى بسرية بالغة ، لما حواه من « الحقائق »
الدامغة .

والماجور جنرال كونت شريب سبيريدوفتش ، في كتابه
« اليد الخفية » (١) ، وهو - والحق يقال - معين لا ينضب من
المعلومات والمراجع لكل المهتمين بالموضوع ، بلغ منه الحماس ،
ولا أقول الجنون ، إلى حد جعله يكتب عن نفسه أنه صاحب
نظرية في التنبؤ السياسي ونبي ملهم .

والكومندر وليام كاي كار ، مؤلف كتاب « أحجار
على رقعة الشطرنج » و « ضباب أحمر يعلو أميركا » (٢) ،
أصابه الخوف وسيطرت عليه عقدة الاضطهاد إلى درجة اختبأ

Maj - Gen. Count Sherep - Spiridovich : (١)
« The Hidden Hand ».

« Pawns In The Game » and « Red Fog (٢)
Over America ».

معها في قرية صغيرة في مجاهل كندا لفترة طويلة ، بعد أن رأى المؤامرة على حياته هو تضيق ثم تضيق . اعتدى عليه قاطع طريق مرة وهو في الخامسة والعشرين ولم يكتب بعد شيئاً عن « المؤامرة » ، فأفرد فصلاً طويلاً في كتابه (١) لتفسير مسؤولية اليهودية العالمية في هذا الحادث الرهيب . وكذلك فعل عندما سقطت رافعة على مقربة منه على السفينة التي كان يعمل عليها .

وقد صدر أخيراً كتاب في انكلترا اسمه « مرجل الشرق الأوسط » (٢) ، يكفي أن نشير الى أن كاتبه ينتمي الى جماعة تسمى نفسها « الحركة العالمية لشهود النبوءات » ، وغايتها التبشير بالمسيحية في اسرائيل الى أن تهتدي الى سواء السبيل ، وتعنتق المسيحية . ولعل الكاتبين اكتشفا أن التبشير هو أقوى سلاح لمحاربة اسرائيل ومؤامراتها ، وكانعلم فان اسرائيل على استعداد تام لقبول هذا النوع من الحرب ، والتراجع أمامها . وغيرهم كثيرون .

والعاطفيون من الكتاب ، قبلوا ببعض ما يسمونه « حقائق »

(١) « ضباب أحمر يعلو أميركا » .

« The Middle East Cauldron », By F. A. Tatford (٢) and John McNicol, (The Prophetic Witness Movement International), Eastbourne, Sussex, England.

دون مناقشتها ثم توسعوا فيها، فجاءت كتاباتهم خالية أو تكاد من الموضوعية، قوامها الحماس والاندفاع لمحاربة عدو يضخمونه وينفخون فيه حتى جعلوا منه وحشاً اسطورياً، يخلق لدى قرائهم رعشة من الخوف وشعوراً بعدم جدوى المقاومة تجاه هذا العدو ذي الامكانيات التي تفوق إمكانيات باقي البشر. وهذا العدو، على ما نعلم، هو من البشر، ويحاربنا بأساليب بشرية، إنما يجب أن نعترف أنه قد امتاز باستعماله ذكائه أكثر من غيره. ولا شيء يثبت ان باقي البشر، لو استعمل ذكائه هو أيضاً عوضاً عن انحداره في طريق العاطفة الهوجاء، لا يستطيع قهر هذا العدو، أو على الأقل إعادته الى حظيرة البشرية.

ومن المؤسف أيضاً أن الموضوعيين من الكتاب الذين تطرقوا الى أي من الموضوعات التي عالجها أعداء اليهودية، هم من اليهود، وان كنا نرغب حقاً في ايجاد الحجج، فما علينا سوى قراءتهم. انما لا يجب أن نخطيء فنعتقد أن هؤلاء هم من أعداء اليهودية والصهيونية وقد اهتموا، بل هم من الصهيونيين حتى أطراف أصابعهم، لكنهم أكثر منا موضوعية.

ولعل السبب في ذلك، أو تفسيره، هو محاولة منهم استباق الزمن وغيرهم من البحاثين الذين لا بد وأن يصلوا يوماً من الأيام الى بعض من الحقائق التي يسمون اليها. وهكذا يكسبون عطف واحترام الطبقات المفكرة لموضوعيتهم. أو لعل ذلك جزء من

« المؤامرة » ، حتى يضيفوا على القائمين عليها واتباعها جواً مكتنفاً
بالألغاز والرغبة ، من يدري ...

خذ مثلاً كافرو ديار ، عندما يتكلم عن مسؤولية اليهود في
الثورتين الأميركية والفرنسية ، وكونهم خططوا لها ونفذوها
الى جانب شرعة حقوق الانسان والأمم المتحدة . يقدم الفكرة
ثم يتوقف عن تقديم الحجة ، بل يطلب من القارئ قبولها دون
مناقشة وكأنها حقيقة لا تحتاج الى برهان ، ويسترسل حتى نكاد
نفقد أنفاسنا . أما غيره ، فيتكلم عن دور اليهود في خلق الأمم
المتحدة ، مقدماً حجة دامغة بنظره هو ، إذ يذكر مقطعاً من
التوراة لتفسير أساس لوني علمي اسرائيل والأمم المتحدة على
السواء « ... وخرج مردكاي من حضرة الملك بثوب الملك
السمنجوني والأزرق ... » (سفر أستير ، ٨ : ١٥) . فهل
هناك حجة أقوى من هذه ؟

أما أبا ايبان ، وهو غني عن التعريف ، فيقول بكل
بساطة (١) :

« ... وأصبح (خروج بني اسرائيل من مصر) في الكثير
من الحضارات واللغات الأخرى رمزاً للتحرر الوطني والاجتماعي .

Abba Eban : « Mon Peuple » (Buchet - Castel) , (١)
Paris , P. 20.

يقول هنري جورج (١) : (من بين قسدي أبي الهول الضخمة يصعد رمز الحرية ، ومن خلال أبواق الخروج ، ترتفع بفخر شرعة حقوق الانسان). وفي القرن الثامن عشر ، عندما استشير بنجامن فرانكلين وتوماس جفرسون (٢) ، في موضوع اختيار شعار مناسب للاتحاد الأميركي العتيد ، اقترحا أن يحمل شعار الولايات المتحدة صورة بني اسرائيل وهم يقطعون مياه البحر الأحمر المنشقة أمامهم ، وهم يتجهون نحو الحرية ، وفوق ذلك العبارة الآتية : (مقاومة الحكام المستعبدين هو من اطاعة الله). وفي فرنسا في عهد الثورة ، اعتبر رؤساء المؤتمر (الكونفانسيون) أنفسهم ورثة كنعان الجديدة .. » .

وقال بن غوريون ، وهو الآخر غني عن التعريف ، في مقابلة له مع مجلة « تايم » في ١٦ آب ١٩٤٨ : « ان هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي » .

وقال أيضاً أحد زعماء الصهيونية ، ناحوم سو كولوف ، في ٢٧ آب ١٩٢٢ أمام مؤتمر « كارلسباد » الصهيوني : « ان عصبة الأمم هي فكرة يهودية . لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة » .

(١) هنري جورج من رجالات وأدباء الولايات المتحدة في أواخر القرن

الماضي ..

(٢) فرانكلين وجفرسون ، من زعماء الثورة الأميركية وواضعي دستور

الولايات المتحدة .

وهكذا يفصل هؤلاء اليهود الصهيونيون الخلاف، إذ يقولون ببضعة سطور ما حاول عبثاً العديد من الكتاب إيجاد مرجع للاستناد اليه ، وكانت تكفيهم مشقة ذلك نقل هذه الأسطر .

لكن لنكن نحن أيضاً موضوعيين . حتى هذه الكلمة من أبا ايبان هل يمكن اعتبارها برهاناً على تخطيط الثورتين الأميركية والفرنسية وتنفيذها من قبل اليهود ، وكذلك الأمم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ؟ ألا يمكن اعتبارها مجرد مفاخرة من قبل الكاتب أن تعتبر ثورة اليهود الاولى على حكامهم المصريين نموذجاً يحتذى به ؟ ثم هل كل الذين يذكرون العرب بشيء من المديح والاطراء جزء من « مؤامرة عربية للسيطرة على العالم » ؟

ولعل ظهور ما سمي « بروتوكولات حكاء صهيون » في أوائل هذا القرن هو نقطة البداية الحقيقية لهذه الحمى من الكتب والمقالات الدائرة حول موضوع هذه « المؤامرة » . وهذه « البروتوكولات » توجت سنوات بل قرون من الغليان في العالم المسيحي ضد اليهود، ذلك الغليان الذي تفاقم عند ظهور حادثة « درايفوس » الشهيرة في فرنسا في أواخر القرن الماضي .

وملخص القضية هي أن ضابطاً يهودياً في الجيش الفرنسي ، وهو الكابتن الفرد درايفوس ، اتهم بإفشاء بعض الأسرار العسكرية وإعطائها الى الملحق العسكري الألماني في باريس . وقد جرت محاكمته والحكم عليه بسرعة عام ١٨٩٤ ، وقد جرت

هذه الحادثة موجة جامحة من العداة للسامية لم تهدأ لسنوات عديدة . وبعد عدة سنوات من السجن في جزيرة الشيطان ، ظهرت إثباتات جديدة تشير الى أن ضابطاً آخر، وهو القومندان استرهازي ، هو الذي أفشى الأسرار ، فثارت حركات قوية مطالبة بإعادة محاكمة درايفوس ، تزعمها اميل زولا وأناقول فرانس ، الكاتبان المشهوران ، وجورج كلنصو ، رجل الدولة المعروف الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء. لكن موجة العداة لليهود لم تخف ، فقد أعيدت محاكمة درايفوس وحكم عليه مرة ثانية عام ١٩٠٠ ، ثم نال عفواً خاصاً الى أن نقضت محكمة التمييز الحكم وبرت ساحة درايفوس عام ١٩٠٦ . وقد كان للموجة المعادية للسامية بعد المحاكمة الاولى تأثير كبير أعطى دافعاً أساسياً وقوياً للصهيونية الحديثة بقيادة تيودور هرتزل، الصحفي النمسوي اليهودي ، الذي دعا فيما بعد إلى مؤتمر بال الشهر عام ١٨٩٧ .

ومما تجدر ملاحظته هنا انه كلما تعرض اليهود لحادثة ذات صدى دولي خرجوا منها بأكبر الغنائم ، لما لتصرفهم خلالها وبعدها من الذكاء والدهاء ، مما دفع العديد من الكتاب ، وكثيرون منهم من اليهود ، إلى الجزم بأن زعماء اليهودية العالمية كانوا يغذون بعض الحركات المعادية للسامية ، إن لم نقل كلها ، لينالوا منها أكبر الغنائم ، ولكي يبقوا سيطرتهم كاملة على اليهود .

والكتاب الذي نشره أحد اليهود الفرنسيين تحت اسم

« تربلنكا » (١) وثيقة خطيرة تتهم الزعماء اليهود بأنهم لو أرادوا ذلك ، لأمكنهم إنقاذ أبناء جلدتهم من أفران الغاز النازية ، لكنهم فضلوا السكوت ، والتحالف الصامت مع الالمان .

وقد ذهب أحد علماء اليهود إلى أبعد من ذلك ، إذ قال الدكتور آرثر روبن (٢) ان المصداق للسامية وفرض كابوسه على اليهود أنفسهم مخطط قديم يعود إلى عهد عزرا ونحميا ، اللذين وضعوا « الشريعة » حوالي ٤٠٠ عام قبل الميلاد . يقول روبن :

« في تلك الأيام كان من الضروري حماية عقيدة « يهوه » من التأثيرات الخارجية ... وكان ذلك عملاً شاقاً ، لكن زعماء القبائل اليهودية اعتقدوا ، وكانوا على حق في ذلك ، أنه بإمكانهم تصحيح هذه الظروف باتخاذ إجراءات استثنائية ... وهكذا فرضوا على اليهود الاعتقاد بأنهم شعب نما وترعرع خلف الجدران المحصنة (أي جدران الفيتو) ، وعليه أن يكون دوماً على أهبة

(١) « تربلنكا » اسم لمسكر اعتقال نازي قتل به عدد كبير جداً من اليهود ، وهو أيضاً عنوان كتاب ألفه جان فرانسوا شتاينر .

« Treblinka » J. F. Steiner, (Fayard , Paris) .

(٢) الدكتور آرثر روبن، استاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية، في كتابه:

« The Jews of The Present : A Socio - Scientific Study » Dr. Arthur Rupin, Berlin 1904.

الاستعداد ... وقد أثبت التاريخ أن كتب اليهود المقدسة قد
أتمت غايتها على أكمل وجه ... »

وهكذا تم إخضاع اليهود لسيطرة زعمائهم الكاملة والأبدية ،
يقررون لهم شروط حياتهم الخاصة ومصيرهم ، وحتى عاداتهم
الشخصية . وهكذا ضمن الزعماء اليهود طاعة أتباعهم العمياء ،
وأمكنهم استعمالهم لتحقيق غاياتهم مهما كان الثمن ودون اعتراض
من اليهود العاديين .

نعود الى « البروتوكولات » (١) . لقد قامت حولها ضجة لم
تهدأ بعد فمن قائل ان مؤتمر بال عام ١٨٩٧ قد وضعها ، ومنهم
من قال ان « احدها عام » وهو الاسم المستعار لأحد كبار
مفكري اليهود « آشر غنزبرغ » هو الذي كتبها بنفسه ، ومنهم
من قال أيضاً انها مزورة ، وان القائم على وضعها هو البوليس
السري القيصري المعروف تحت اسم « الأوخرانا » ، وغايتسه
تبرير موجة من اضطهاد اليهود كان يخطط لها ونفذها بعد ذلك .

وقد ظهرت أول ما ظهرت باللغة الروسية حوالي العام ١٩٠٥

(١) ترجمت « البروتوكولات » إلى معظم لغات العالم ومنها العربية . وأول
ترجمة لها الى العربية على ما نعلم قام بها في أواخر الثلاثينات الحوري أنطون
مين في لبنان وفريدريك زريق بدمشق . وأوسع تحقيق عنها كتبه الأستاذ
عجاج نويهض في كتابه المنشور عام ١٩٦٧ تحت اسم « بروتوكولات حكاه
صهيون » ويقع في جزأين .

وتحمل هذه الترجمة اسم « سيرجي نيلوس » ، وقد وصلت إلى المتحف البريطاني عام ١٩١٧ ، وقام على أول ترجمة لها إلى الانكليزية ، ومنها نقلت إلى باقي لغات العالم ، الصحفي الانكليزي فيكتور مارسدن . وهنا تبدأ الروايات بالاختلاف فمن قائل ان الكتاب وصل أولاً إلى المتحف البريطاني ومنه أخذها مارسدن وترجمها ومنهم من قال ان فيكتور مارسدن هو الذي هربها من روسيا عام ١٩١٧ ثم قام على ترجمتها ونشرها عام ١٩٢٠ . وقد وقع الأستاذ نويحس بمغالطة في مؤلفه المذكور إذ تبني النظريتين ، نظرية وصولها أولاً إلى المتحف البريطاني ، ونظرية تهريبها من روسيا من قبل فيكتور مارسدن .

أما التوقيع الذي ظهرت تحته للمرة الأولى عام ١٩٠٥ وهو « البروفسور سيرجي نيلوس » ، فهو أيضاً اسم قامت حوله ضجة كبيرة ، إذ ادعى البعض انه اسم مستعار لشخص مجهول ، وبعضهم قال أنه حقاً من رجال الكنيسة الروسية المعروفين . وقد تبني الأستاذ نويحس النظرية الأخيرة ، بل وذهب إلى حد اعطاء نبذة عن حياة الرجل ، مع صورة فوتوغرافية له ، نعترف بكل تواضع اننا ، بما أمكننا من المراجعة والتحقيق ، لم نتمكن من إيجاد أي مستند يعتمد عليه لها .

المهم في الأمر أن « البروتوكولات » موجودة ، وهي في متناول الجميع ، بل قد طبع منها بالانكليزية وحدها ، وحتى العام ١٩٥٨ ، إحدى وثمانون طبعة ، بلغ مجموعها أكثر من مليون

نسخة. وقد خصص لها الكثير من العلماء والمحققين كتباً ودراسات كاملة ومطولة ، ومنهم السيدة « نيستا ويستر » ، كما تبناها « هنري فورد » في كتابه المشهور « اليهودي العالمي » (١) ، إذ أخذ مقاطع منها لتتويج سلسلة الدراسات التي جمعت فيما بعد بالكتاب المذكور .

ويجدر بنا هنا أن نورد عبارة أتت على لسان السيد هنري فورد الأب ، وهي تكفي بالواقع للرد على كل النظريات عن حقيقة أو لا حقيقة « البروتوكولات » ، إذ قال عندما انتقده أحدهم لاستعماله « البروتوكولات » والنزاع على حقيقتها لم يتم فصلاً : « لا يهمني ان كانت هذه البروتوكولات حقيقة أو تزويراً ، ما يهمني فقط هو أنها تنطبق على واقع نشأهه جميعاً بأعيننا » . واعتقادي أن هذه الكلمة هي مسك الختام لنزاع سيستد عصوراً قبل أن ينتهي ، ولن ينتهي الى نتيجة كلما تقادم عليه الزمن . ومن العبث ، بل من إضاعة الوقت محاولة إيجاد نظريات لإلصاق « البروتوكولات » باليهود أو لتبرئتهم منها .

والمهم أيضاً أن زعماء اليهود والصهيونية ، على الرغم من كل

(١) كتاب « اليهودي العالمي » ألف بإشراف هنري فورد الأب ونشرته على مراحل جريدة « ديربورن انديبننت » بين الأعوام ١٩٢٠ / ١٩٢٢ .
Henry Ford - « The International Jew » (The Dearb-
orn Independent) .

الضجة التي قامت حول « البروتوكولات » ، لم يحاولوا يجدية
رفع التهمة عن أنفسهم إلا بما يقتضيه فن المجادلة ، فهم بما يملكون
من سيطرة على وسائل الاعلام في العالم ، ساعدوا على بقاء النزاع
قائماً ، يخلق سنة بعد سنة موضوعاً شيقاً الى جانب الهوس
والخوف الشديدين اللذين يسيطران على أعدائهم . ماذا يهمهم ،
طالما أن « البروتوكولات » ، حقيقة أكانت أو تزويراً ، تخدم
غاياتهم ، وعلى الأخص في خلق وتنمية ذلك الشعور العميق ،
الخييف ، بالرعب الدفين أمام قوتهم الهائلة .

لنعيد اليهود والصهيونية الى الأرض ، فهم بشر مثلنا ، وإن
كسبوا معركة ضدنا . ولنعد نحن أيضاً الى الأرض ، فلا يجدينا
فتيلاً ان ساعدنا على تضخيم اسطورة القوة اليهودية العالمية التي
لا تقهر . لتكن محاولتنا موضوعية ، تفتح أعين القارىء
والمواطن العربي الى حقائق بشرية عادية ، فالخطأ في التحويل في
قوة العدو لا يقل عن الاستهانة به ، والطريق أمامنا طويل .

وأطول طريق يبتهدىء بخطوة اولى .

سهيل ميخائيل ديب



ملحق



الأمم :

يستعمل اليهود عند تكلمهم بالعربية كلمة « الامم » بمقابل كلمة « غويم » . ولعل أوضح تفسير لمعنى كلمة « غويم » أو « الامم »، هو الذي أعطاه أحد الحاخامين الذين تركوا اليهودية، وقد ذكره الدكتور أسد رستم في كتابه الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي في الصفحة ٢٠ من الجزء ٥ (طبعة الجامعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٣٣) ، بنصه الحرفي :

«الاثنين ١٣ محرم ١٢٥٦ (الموافق ١٥ آذار ١٨٤٠) بحضور الخواجه بودين كونسليز قنصلاتو فرنسا ، سُئل محمد أفندي أبو العافية (وهو الحاخام موسى أبو العافية الذي أسلم أثناء المحاكمة) (١) : في التلمود في دين اليهود ماذا يقولوا عن (الأمم) التي هي خارجا عن بني إسرائيل ؟ جاوب : يقولوا عنهم بهائم وحواوين .. »

(١) راجع بخصوص موضوعه كتاب « دم لفطير صهيون » للدكتور نجيب كيلاني ، منشورات « دار النفائس » بيروت ، ١٩٧٢ .

« .. ومن ذلك تحقق لهم أن بقية (الأمم) بهائم وهم (أي بنو إسرائيل) فقط بشر .. » (نفس المرجع ، صفحة ٢٧ ، ويقول المرجع ان الحاخام السابق أبا العافية ترجمها من الورقة ٣٥ من سفر « عابودا زاره » من التلمود ، وقد صادق على هذه الترجمة الحاخام يعقوب المينتابي الحاخام الأكبر للشام) .

وكذلك ترجم النص التالي من الورقة ٦٢ من « سفر عربين » ، وصادق على ذلك الحاخام المينتابي : « .. ومن ذلك ظاهر أن عندهم خلاف الأمم بهائم ويوتهم خان البهائم .. » (نفس المرجع والصفحة) .

الكتبة :

« الكتبة » لدى اليهود هم مدونو الشريعة ، وبالعبرية « سوفير » ، أي كاتب الأسفار . ويقصد بكلمة « كتبة » بشكل خاص مدونو الشريعة والكتب المقدسة بعد السبي إلى بابل ، إلى جانب الفريسيين . ولهؤلاء في « العهد الجديد » سمعة سيئة جداً ، إذ يحملهم السيد المسيح وتلاميذه على السواء مسؤولية التحريف الكبير في الكتب المقدسة السابقة ، ويشار اليهم دوماً في « العهد الجديد » بكثير من الازدراء والاحتقار (« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ... ») . إلا أنهم يتمتعون بسمعة ممتازة واحترام زائد لدى اليهود الاورثوذكس بشكل خاص ،

لأنه لولاهم لما بقيت الشريعة كما هي اليوم - أو بالأحرى لما
كُتبت بالشكل الذي نعرفه اليوم .

التوحيد عند اليهود :

يقول ايزيدور ابشتاين في هذا الصدد بالحرف الواحد
(Le Judaisme - Payot - P. 8) (إن « ابرام » ، الذي غير
اسمه فيما بعد إلى « ابراهيم » ، كان أول الموحدين اليهود ، وقطع
ابرام صلته مع عبادة الأصنام ، وكرّس نفسه لخدمة الإله الواحد
الأوحد الذي اعترف به كخالق للسموات والأرض) .

إلا ان أحد علماء اليهود يؤكد في كتاب ظهر هذا العام:
(« صياغة التاريخ اليهودي » - The Shaping of Jewish His-
tory , Prof . Ellis Rivkin , New York , 1972) .
ان فكرة التوحيد وتطبيقها لدى اليهود ، لم ترتكز على أسس
دينية أو روحية بقدر ما ارتكزت على ضرورات سياسية
واققتصادية ، وذلك على أثر منافسة شديدة على زعامة اليهود بعد
النفي إلى بابل كتب النصر فيها للفريسيين ، وهؤلاء كانوا باتفاق
جميع المؤرخين ، أصحاب الأثر الأكبر والأبقى في صياغة تاريخ
وشريعة اليهود .

أما المشككون في كون اليهود موحدين منذ نشأتهم فهم كثر
وكثيرون منهم هم من اليهود أنفسهم . فكما يقول البروفسور رفكن
ظهرت فكرة التوحيد لدى اليهود ورسخت بناء على مقتضيات

معينة تاريخها محدد بدقة ، وهو تاريخ الكتابة الفريسيين في بابل ،
أي حوالي العام ٤٠٠ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي «ألفوا» فيها
الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . ومن هؤلاء المشككين من
يعتمد على برهان لغوي طريف ، إذ أن أول كلمة كتبت من قبل
هؤلاء الفريسيين هي « في البدء خلق الله السماوات والأرض » ،
(تكوين ١ : ١) ، وفي النص العبري (في البدء خلقت الآلهة
السماوات والأرض) ، وفيما يلي ذلك ، وبناء على استنتاج
البروفسور رفكن ، اعتمد الكتابة صفة المفرد عوضاً عن الجمع
لوصف الاله .

ويلتقي هذا الكاتب مع العالم اليهودي سيجموند فرويد
Sigmund Freud^(١) في أن فكرة التوحيد انطلقت من تطور معين
في تاريخ اليهود ، إنما يختلف معه في ان هذا التطور كان لأسباب
سياسية واقتصادية ، وقد كان من نتيجة ذلك ان أصبحت صفة
الاله الواحد والأوحد على اله اليهود القبلي .

ويذهب فرويد الى تقديم نظرية مفادها ان اسم اله اليهود
كما ذكر أحياناً في التوراة ، أي (آدون) أو (آدوناي)
مأخوذ من اسم الاله (آتون) الفرعوني ، والمشتق منه اسم
الفرعون (اخناتون) ، لكن يعترف بضعف النظرية وافتقارها
إلى البرهان ، ما عدا مرجع واحد ، The Life And Times

(١) « Moïse et le Monotheisme », Gallimard, Paris.

« آتون » of Ikhnaton, A. Weigall, 1923. يقول : ان الإله « آتون »
في شمالي سوريا هو دون شك من نفس الأصل .

إلا أن النظرية التي يتفق عليها العلماء أكثر من غيرها تقول
ان إله اليهود « يهوه » هو تطور طبيعي وبطيء من مرحلة تعدد
الآلهة التي مرت بها اليهود ، شأنهم شأن القبائل البدائية الأخرى ،
تلك الآلهة التي كان « يهوه » مجرد واحد منها ، الى مرحلة الإله
الواحد ، وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحرب الشعواء التي
يشنها « يهوه » ، من خلال التوراة ، على غيره من الآلهة والتي
بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعددي الآلهة بالفطرة .

يقول هومير سميث Homer W. Smith « Man and his Gods », page 100.
: « وقد اتخذ « يهوه » لنفسه ، خلال تطوره
البطيء في فوضى تعدد الأديان ، الكثير من خصائص آلهة
اسرائيل المتعددة » ، والصفة المشتركة لأكثر آلهة القبائل القديمة
هي الحجر والنار ، وتشارك هاتان الصفتان معاً لتشكلا جبلا
بركانياً ، وهو رمز القوة الهائلة : « هوذا اسم الرب (يهوه) يأتي
من بعيد غضبه مضطرم والحريق شديد وشفته ممتلئتان سخطاً
ولسانه كنار آكلة وروحه كسيل طاع يبلغ الى العنق فيغربل
الأمم بغربال من البوار .. » (أشعيا ٣٠ : ٢٧ - ٢٨) .

ويؤكد القرآن الكريم رسوخ « هذه الروح » عند اليهود من
خلال سرده لقصة موسى عندما ذهب ليكلم ربه فرجع فوجدهم

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجلاً جسداً له خوار »
(الأعراف : ١٤٨) . ورغم توالي الأنبياء فيهم فقد احتفظوا
بصورة معينة لإلههم يهوه كما مر آنفاً .

التلمود :

وضعت تراجم عديدة للتلمود الى عدة لغات ، لكنها كلها
محدوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوز الاطلاع عليها لغير
الخاصين المتقدمين في اللاهوت . وآخر هذه التراجم هي التي
وضعها الدكتور ايزيدور ابشتاين ، وقد شملت ٣٥ مجلداً بين عام
١٩٣٥ و ١٩٥٢ ، بالانكليزية .

أما النسخة العبرية الأصلية من تلمود بابل ، فيجري إعادة
طبعتها الآن في اسرائيل وذلك بعد مئة سنة على آخر طبعة منها .
ويقوم على ذلك الحاخام آدين شتاينزالتز وسيطع منها ، كما أعلن ،
سنة آلاف نسخة فقط ، بينما نعلم أن الملايين من نسخ الكتاب
المقدس الذي يشمل التوراة ، يطبع كل سنة ، مما يدل على حرص
القائمين على الدين اليهودي على المحافظة على سرية التلمود . والنسخ
الستة آلاف لن تباع بل ستوزع بسعر رمزي قدره عشرة دولارات
لكل جزء من أجزاء التلمود الخمسة وثلاثين على المشتركين فقط ،
وقد غطيت الاشتراكات منذ عام ١٩٦٠ م .

أما في الحالات التي توصل فيها اليهود الى شيء من السيطرة
والقوة في بعض البلدان فقد أدت بهم رعوتهم المتمثلة في طبعمهم

التلمود بشكله الأصلي ، الى الكثير من المتاعب والاضطهادات والحرق العلني لنسخ التلمود لما حواه من الأشياء المستنكرة (انظر كتاب التلمود لظفر الاسلام خان المذكور سابقاً ، الصفحات من ٤٠ الى ٤٩) ومنذ ذلك الحين ، أصبح التلمود قطعاً نادراً بل ويقال ان نصه الأصلي الكامل ، المطبوع في البندقية عام ١٥٢٠-١٥٢٣ لا توجد منه سوى ثلاث نسخ فقط .

وحادثة فريدة نموذجية وقعت تعطينا فكرة واضحة على حرص اليهود على سرية التلمود ، ففي حادثة الراهب توما الذي قتل في دمشق عام ١٨٤٠ قبض على الخاخام موسى أبو العافية الذي اعتنق الاسلام فيما بعد وقام بترجمة نصوص سرية من التلمود وأعطاهما الى الوالي شريف باشا ومستشار قنصلية فرنسا الذي كان يتابع القضية باهتمام بالغ . فلما بلغ الأمر أعيان اليهود في دمشق ، حاولوا رشوة المدعو خليل الصيدناوي ، وهو صاحب حانة في حي اليهود ، بمبلغ نصف مليون قرش ذهبي ، وذلك بحضور قنصل النمسا وبواسطة مندوب اليهود اسحق بيشوتو ، لاتهام نفسه بالجريمة ، ثم يعطوه بعد ذلك الأمان الكامل من العقاب على الشكل الذي يطلبه . أما الشرط الذي طلبه اليهود فهو « عدم الفحص والتدقيق الجاري في كتب ديانتهم لأنه مهيئ للطائفة ، والترجمة والتفسيرات التي استخرجها أبو العافية من الكتب العبرانية ، يلتمسوا عدم ذكرها يجرنال القضية بل و يترجوا اعدامها بالكلية ..

وان الجائزة لأجل ذلك خمسية الف غرش (انظر الاصول
العربية ص ٣٦) .

وقد شمل « جرنال » القضية من الصفحة ٢٤ الى ٢٩ ، ومن ٣٠
الى ٣٥ فقرات مطولة من التلمود ترجمها الى العربية العامية
الحاخام السابق أبو العافية وصادق على صحتها يعقوب المينتابي
وهو ربي اليهود في الشام في ذلك الوقت .

الخروج من مصر :

يتطرق المؤلف هنا إلى ناحية دقيقة خطيرة وهي تشكيكه
في حقيقة حدوث « الخروج » من مصر تحت قيادة موسى ،
والموصوف في « سفر الخروج » في التوراة . والمؤلف يدعي أن
هذه الهجرة الجماعية إنما هي من تأليف واضعي التوراة ، ولم
تحدث بالواقع إلا في تخيلة المؤلفين الفريسيين . إلا أن عداء المؤلف
الظاهر لليهود ، ومحاولاته لتكذيب كل دعوتهم ونبش أسرارهم ،
لا يمكن اعتبارها الدافع الوحيد لرفضه تصديق حقيقة واقعة
« الخروج » من مصر ، وكذلك الروايات الأخرى عن هذا
الخروج ، والتي يسميها اسطورية . فهناك فئة كبيرة من العلماء ،
وجلتهم من اليهود ، يشككون في حقيقة هذه الرواية أيضاً .
(ولا نعلم هدفهم من ذلك بالضبط ، الذي ربما يكون زعزعة
الإيمان بروايات الأناجيل والقرآن الكريم للحادثة) .

يقول «ناحوم نوربرت غلاتزر Nahum Norbert Glatzer» ،
وهو استاذ التاريخ اليهودي ورئيس قسم الدراسات اليهودية في
جامعة « براندايس Brandeis » اليهودية في الولايات المتحدة :
« لا توجد هناك أية إثباتات اركيولوجية ، أي أثرية ، تشير إلى
واقعة (الخروج) ، ولا حتى في الآثار المصرية ولعل السبب
في ذلك يعود إلى أن اليهود المصريين ، في ذلك الوقت ، لم يتعدوا
بضعة آلاف ، وقد يكونوا أقل من ذلك بكثير ، بحيث لم يشكل
خروجهم حتماً أي تأثير على مصر . »

وقد ذكر هذا النص في موسوعة « فنك اند فاغلز » ،
(ص ٥٢٤٢ ، جزء ١٤) ، وهي أيضاً صاحبة « الموسوعة
اليهودية » . إلا أن هذه الموسوعة تعود فتناقض نفسها إذ تقول
(ص ٦٢٢٣ ، جزء ١٧) ان عدد اليهود حينئذ كان ٦٠٠٠٠٠ .
والموسوعة تؤكد ما قاله المؤلف من أن « سفر الخروج » أُلّفه
الكتبة البابليون خلال النفي إلى بابل ، ثم جمعت هذه النصوص
كلها ، في النص الذي وصل إلى أيدينا ، حوالي سنة ٤٠٠ ق.م .
في مدرسة صفد ، وتقول الموسوعة (ص ٣٣٤٥ ، جزء ٩) :
« يعتقد معظم العلماء أن البنتاتوك (أي الأسفار الخمسة الأولى
من التوراة ، ومنها « سفر الخروج ») والتي عزي تأليفها لموسى
عليه السلام ، إنما قد أُلّفها (أو ركبها constructed) بشكلها الحاضر
الكتبة البابليون أثناء النفي » .

والثابت أن نبوءة « حزقيال » ، وهي ، من وجهة نظر

العلماء الأهم بين كتب التوراة ، لم تأتِ البتة على ذكر موسى عند تطرقها بشكل موجز إلى « الخروج » من مصر ، على الرغم من سعة كتاب حزقيال وشموله . ومن البديهي ان لهذا الصمت عن موسى معنى كبيراً ، لا سيما وان من المتفق عليه ان « نبوءة حزقيال » هي وحدها بين كتب التوراة التي كتبها صاحبها بنفسه ، بينما الكتب الأخرى ألّفت تأليفاً كاملاً . وبالواقع ، فقد أتى ذكر الخروج من مصر في نبوءة « حزقيال » بشكل موجز وبعبارات رمزية في فصل واحد ، هو الفصل العشرين من أصل ثمانية وأربعين فصلاً تشملها النبوءة .

إلا أن عالماً يهودياً آخر وجد رابطة أثرية واحدة ، ولكنها ذات أهمية محدودة ، بين « سفر الخروج » وبين التاريخ المصري القديم . يقول العالم ، وهو « إيمانويل فيليكوفسكي Immanuel Velikovsky » في كتابه « عوالم تصطدم Worlds in Collision » (منشورات Dell صفحة ٧٥ ، طبعة ١٩٧١) ، ما خلاصته :
 اكتشف معبد في العريش يحمل عبارة مطولة منقوشة بالهيروغليفية (وهي الكتابة المصرية القديمة) تقول : « .. ولاحق الفرعون الشريرين إلى المكان المسمى (بي - خيروت Pi - Khivot) » ،
 والمكان نفسه أتى ذكره في سفر الخروج (١٤ : ٩) : « واتبعهم المصريون وهم نازلون إلى البحر ... عند (فم الحيروت) » ،
 وكلمة (فم الحيروت) نقلت هكذا : « Pi - ha - Khivot » في

النص الانكليزي للتوراة ، علماً أن حرفي « ها ha » هما ما يقابل « ال » التعريف بالعبرية .

ولا بد من الملاحظة هنا أننا لم نتمكن من مطابقة النص المنقول من معبد العريش مع ترجمته العربية ، ان وجدت ، لعدم توصلنا الى معرفة ذلك . ولا ندرى ما اذا كانت كلمة « Pi - Khiroti » قد ترجمت الى « فم الخيروت » ، لذلك اكتفينا بذكر الإسم بالانكليزية نقلاً عن الكتاب المذكور .

ولم يكن العالم « فيليكوفسكي » يحاول تأكيد واقعة « الخروج » أو نفيها ، بل ذكر العبارة المشار اليها صدفة ، ونقلاً عن مرجعين مهمين ، وذلك في سياق محاولة لتفسير الظواهر والاضطرابات الطبيعية العظيمة التي حدثت في العصور القديمة ، إذ يقول ان هذه الظواهر إنما نتجت عن اصطدام الارض بذهب كوكب مذنب مر على مقربة من الأرض مرات متعددة ، فكان من تأثيره حدوث الظواهر الطبيعية الحارقة التي ذكرت في « سفر الخروج » في مصر ، كما حدثت في نفس الوقت بأماكن اخرى من العالم ، ولم تحدث نتيجة معجزات كما تدعي التوراة . ومن ثم يتوسع الكاتب بالاستشهاد ليثبت أن النقش على معبد العريش إنما هو وصف لنفس الواقعة المذكورة في «سفر الخروج» ، مما لا مجال لذكره هنا .

نعود الى واقعة « الخروج » . من غير الثابت تاريخياً أن

الخروج بالشكل الكثيف المذكور بالتوراة قد حدث فعلاً « ثم ارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت بنحو ست مئة الف ماش من الرجال خلا الأطفال وخرج أيضاً معهم لفيف كبير وغنم وبقر ومواش وافرة جداً » (الخروج ١٢ : ٣٧ - ٣٨) ، وقد قدر « هومير سميث » عددهم الكامل مع من معهم بليون وخمسمائة الف شخص (المرجع المذكور ، ص ٩٤) ، ولا يمكن طبعاً أن تسير قافلة بتلك الضخامة دون أن تترك أي أثر تاريخي ان في مصر او في سورية .

ملاحظة اخرى هنا تثير التساؤل ، وهي ذكر « رعمسيس » ، فكما نعلم ان أول فرعون حمل هذا الاسم تبوأ العرش حوالي العام ١٣١٥ ق. م. بينما التاريخ المتفق عليه لحادثة الخروج كما روتها التوراة هو ١٤٥٠ ق. م. أي قبل أكثر من مائة سنة . فمن هو « رعمسيس » هذا ، وكيف أتى ذكره ولم يكن موجوداً بعد !

أما كيفية تحديد تاريخ واقعة « الخروج » تاريخياً ، فقد اعتمدت على أبحاث واستنتاجات عدة ، تستند على مقارنات معقدة بين كافة المخطوطات والأساطير والآثار المتوفرة ، ومنها أنه قد جرت مؤخراً حفريات في مدينة اريحا ، أظهرت أن زلزالاً قد حدث فيها وهدم أسوارها بين الأعوام ١٤١٣ و ١٣٠٠ ق. م. وهي الواقعة المذكورة في « سفر يشوع » (٦ : ٢٠) ، وهذه الفترة تتوافق مع تاريخ الخروج المتفق عليه ، والذي دام

أربعين عاماً في الصحراء قبل الوصول الى أرض كنعان وبعده بسنوات احتل العبرانيون أريحا بقيادة يشوع بعد موت موسى.

ولا بد من التوقف لحظة عند مسألة تحديد تواريخ الأحداث القديمة ، إذ أقل ما يمكن القول عنها هو أنها تقريبية الى أبعد الحدود . وقد أفرد العالم المعاصر الألماني « كورت مارك Kurt W. Marek » فصلاً طويلاً لمناقشتها في كتابه المنشور عام ١٩٥٥ بعنوان (Le Secret des Hittites Plon - 1955) « أسرار الحثيين » .

ويعطي هذا العالم أمثلة متعددة عن تقريبية التاريخ ، اخترنا منها هذه الفقرة الطريفة من الفصل الثامن (علم التواريخ) من كتابه المذكور: « ... وعلى سبيل المثال ، فإن أول تاريخ حدد لابتداء التاريخ المصري ، وهو تأسيس اول سلالة من قبل الملك مينيس الذي حقق وحدة مصر ، قد جرى تعديله على التوالي ، وخلال قرن من الزمن وعلى مرّ الاكتشافات الجديدة ، فقدّم من العام ٥٨٧٦ ق.م. الى العام ٢٩٠٠ ق.م. وعلى الرغم من ذلك ليس هناك أي برهان ان هذا التاريخ الأخير ثابت وصحيح ونهائي » .

رمزية البنتاتوك :

يستنتج المؤلف من هذا النص (ص ٣٠) أن كامل البنتاتوك

في التوراة رمزي وأسطوري ، طالما أن سلالة اليهود من ابراهيم
ابتدأت برمز ، حسب أقوال بولس المذكورة .

ويجدر التوقف هنا قليلاً لأن استشهاد المؤلف ببولس بالذات
ذو مغزى . لكون بولس حاخام يهودي سابق اعتنق المسيحية ،
لذلك فهو يعرف جميع أسرار اليهود وأمكنه فضحهم . وكان
بولس يدعى شاوول الطرسوسي (نسبة إلى طرسوس في كيليكيا) .
ومن نتائج ذلك كان حقد اليهود كبيراً على بولس . فقد جاء في
أعمال الرسل ٢١ - ٢٦ ما يلي :

« حينئذ أخذ بولس الرجال .. ودخل الهيكل ... (ثم)
رآه اليهود الذين من آسية فهبجوا الجمع كافة وألقوا عليه أيديهم
صارخين : يا رجال اسرائيل أغيثوا . هذا هو الرجل الذي
يعلم جميع الناس في كل مكان خلافاً للشعب والناموس (أي
الشريعة اليهودية) . » كما جاء أيضاً في أعمال الرسل (٢٣ - ١٢)
« تعاهد بعض اليهود وتحالفوا على ابسال أنفسهم قائلين انهم لا
يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس . » وسبب عزمهم على قتله
هو ما قاله « كلوديوس ليسياس » القائد الروماني في رسالة إلى الوالي
« فيلكس » : « ان اليهود قد أمسكوا هذا الرجل وأزمعوا أن
يقتلوه ... وأردت أن أعرف ماذا يشكونه به ... فوجدت
انه يُشكى بمسائل من ناموسهم (أي انه تساءل مجرد تساؤل
في الشريعة فاستحق القتل) (أعمال الرسل : ٢٣ - ٢٦ وما يلي) .

والجدير بالذكر هنا ان معظم متاعب اليهود أتتهم من نفس حاخاميهم ، إذ ترك بعضهم اليهودية واعتنق النصرانية أو الاسلام لما هالمهم ما اطلعوا عليه في الشريعة اليهودية . ومن هؤلاء الحاخامين المرتدين ، إلى جانب أولهم شاوول الطرسوسي ، نيكولاس دونين وبابلو كريستياني في القرن الثالث عشر (اعتنقا المسيحية) ، ويوهان فيفر كورن في القرن السادس عشر (اعتنق المسيحية) ، وأبو العافية ، الحاخام الدمشقي الذي اعتنق الاسلام عام ١٨٤٠ وفضح دور اليهود في قتل البادري توما وخادمه في دمشق (١) .

العنصرية لدى اليهود :

أدت العادات والتقاليد الاجتماعية الدقيقة التي ابتدعتها وأصلها زعماء اليهود أثناء السبي إلى بابل ، إلى خلق روح عنصرية خاصة قلما نشاهد مثيلاً لها لدى الشعوب الأخرى ، على الرغم من المحاولات العدة التي قامت بها جماعات غير يهودية لتأكيد وتثبيت عرق خاص بها ، مثل النازية وغيرها .

وعدد اليهود المحدود والتصاقهم الفعلي والروحي بعضهم

(١) راجع كتاب التلمود لمؤلفه ظفر الاسلام خات ، منشورات « دار النفائس » ، بيروت ، ١٩٧١ - ورواية الدكتور نجيب الكيلاني « دم لفظير صهيون » ، منشورات نفس الدار ، بيروت ، ١٩٧١ .

بعض ، وكذلك سيطرة زعمائهم الدينيين والسياسيين المطلقة عليهم ، جعلت هذه الروح العنصرية تتحقق حيث فشلت مع الآخرين ، وذلك بتأصيل هذه العادات الخاصة لدى اليهود بحيث توارثت جيلاً بعد جيل ، كما فسّر ذلك الدكتور « آرثر روبن ». وقد أعطت الحركة الصهيونية قوة جديدة لهذه العادات وللروح العنصرية الفريدة التي نتجت عنها ، بالإنجازات العديدة التي حققتها لصالح اليهودية العالمية .

وفي عصرنا العلمي الحالي ، أخذ علماءهم يفسرون هذه العنصرية ويؤكدون حقيقتها علمياً ، بعد أن أصبحت العنصرية ، بشكلها العاطفي والعفوي ، مرفوضة ، بل ومكروهة .

إلا أن القارىء لا يشك مطلقاً أن هذه الأبحاث العلمية إنما هي موجهة إلى اليهود فقط دون غيرهم ، فهي تستعمل نفس الحجج لدحض مبادئ العنصرية لدى الشعوب الأخرى .

وأهم هذه المحاولات العلمية قام بها طبيب وعالم فيزيائي فرنسي ، البروفسور جورج لاخوفسكي^(١) في أواخر الثلاثينات . يقول هذا العالم في كتابه « المدنية والجنون العنصري » عند معالجته قضية عادات الطعام والزواج لدى اليهود : « يتبع

Georges Lakhovsky - «Civilisation et Folie Racistes» (١)
(Ed. de « La Maison Française », New York 1940) .

اليهود في البلاد الشرقية الاصول الدينية الدقيقة في الأكل ،
وهذا ما يعطي دمهم خصائص رفيعة (Qualité supérieure)
(ص ٣١) ... وعندما يتزوج اليهود من بعضهم ، يخلق اجتماع
العروق التي يتألفون منها نماذج فريدة بمبقريتها.. مما يثير الغيرة
والحسد لدى الشعوب الاخرى (ص ١٠٠) .. ،

ويفرد العالم المذكور فصلاً طويلاً يختم به مؤلفه « العلمي » ،
نكتفي بترجمة عنوانه فقط دون الإطالة في التفصيل ، لما فيه من
طرافة في التناقض مع ما سبق ذكره من عنصرية الدم النقي
لدى اليهود : « دحض النظرية الخيالية عن التفوق العرقي بسبب
الدم » (الفصل ٩ ، ص ١٩١) ، ويقدم في هذا الفصل براهين
ومقارنات علمية عن اختلاط الدم بين البشر ، واختلافه جذرياً
باختلاف بقعة الأرض التي يعيشون عليها . لكن هذه الحجج
لم تمنع المؤلف من إضفاء صفات ومزايا خاصة على دم اليهود ،
وبالتالي عرقهم ، مما يبرر ، حسب رأيه ، تفوقهم وسيطرتهم
على العالم ، بمساعدة « إلههم يهوه » ! (ص ١٨٥) .

عيد الفوريم :

يقع في ١٤ و ١٥ آذار في التقويم العبري ، وهما اليومان
الذان أتى بهما على ٧٥٠٠٠ من الفرس أعداء اليهود بأمر من الملك
احشوروش زوج استير اليهودية ، وبناء على طلب من هذه
الأخيرة دفعها اليه مردكاي ، « واجتمع سائر اليهود ... وقتلوا

من أعدادهم خمسة وسبعين ألفاً ... فعلوا ذلك في اليوم الثالث عشر من آذار واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم وليمة وفرح ، أما اليهود في شوشن فانهم ... استراحوا في اليوم الخامس عشر منه وجعلوه يوم وليمة وفرح ، (استير ٩ : ١٦ وما يلي) .

المدراش :

هو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمق في الدراسة وهو على نوعين « مدراش حلقة » وهو المتعلق بالنصوص التشريعية « ومدراش هاجاداه » وقد تناقلها العلماء اليهود شفهاً من جيل الى جيل الى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس من الميلاد . والمدراش هو توسع شفهي ومعظم الأحيان بكثير من التصرف في نص توراتي لكنه أصبح بعد تدوينه ، جزءاً من التراث اليهودي (المترجم عن «اليهودية» تأليف الدكتور ايزيدور ابشتاين) .

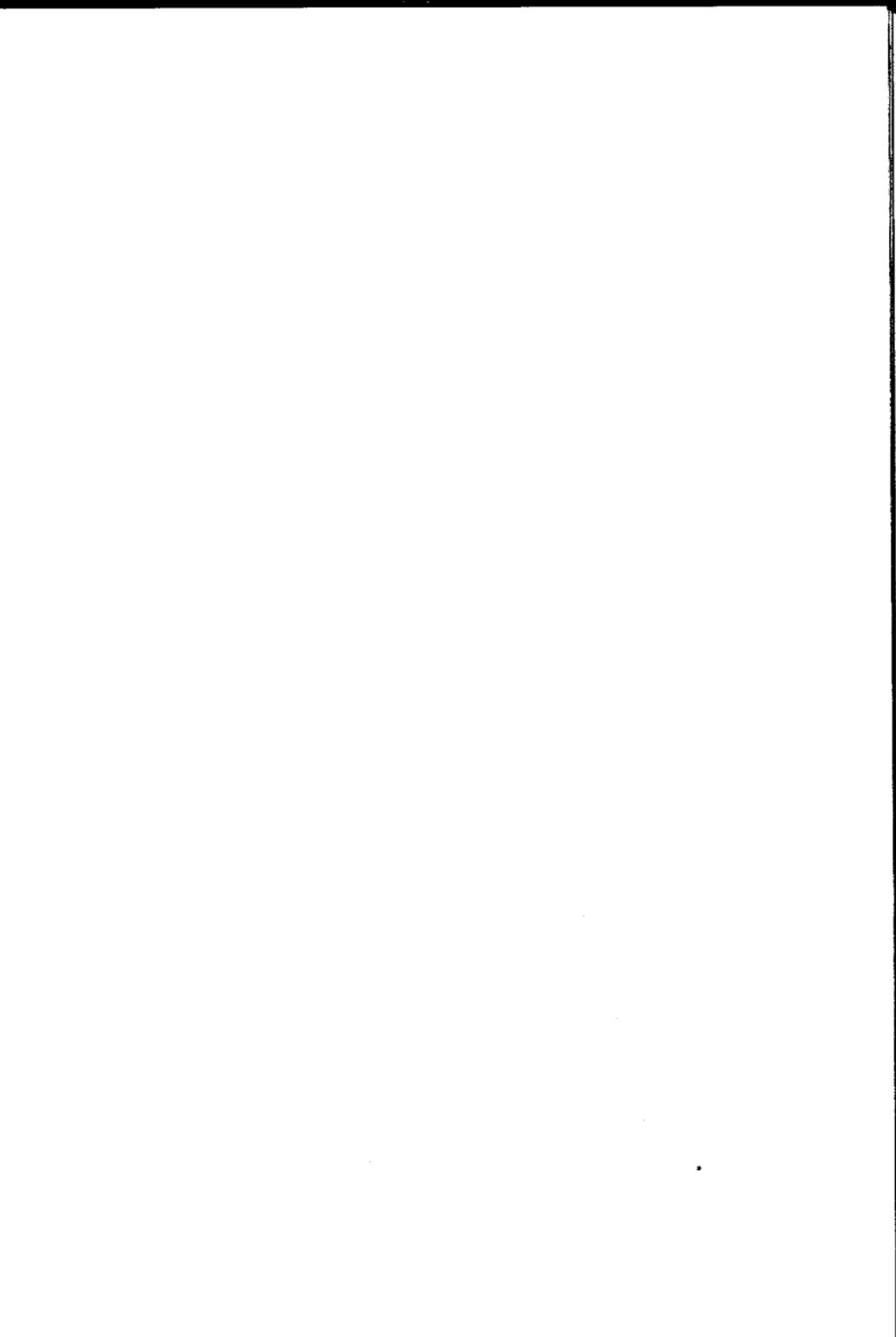
يهوه :

«يهوه» هو اسم إله اليهود القبلي . وطريقة لفظ هذه الكلمة مجهولة . وتطلق عليها عبارة « Tetragramme او Tetragram- maton » ، أي « الكلمة الرباعية » ، وتكتب YHWH دون أبجرف علة ، وتكتب أحياناً Jehovah باعتبار أنها الأقرب الى

طريقة لفظها المقدرة . يقول « ايزيدور ابشتاين » في كتابه
المشار اليه آنفاً : « ان طريقة لفظ الكلمة الرباعية مجهول ، لذلك
يجدر بنا أن نترك التسمية الالهية دون أحرف علة » .

أما سبب اندثار طريقة لفظ الكلمة ، فيحاول تفسيره
الاستاذ « شاوول ليبرمان Saul Liebermann » استاذ الادب
ال فلسطيني وعميد « كلية اللاهوت العبرية » في أميركا ، إذ يقول :
« بسبب تفسير غريب للاصحاح ٢٠ : ٧ من « سفر الخروج »
(لا تحلف - او تنطق - باسم الرب إلهك باطلاً) ، وكذلك
الاصحاح ٢٤ : ١١ وما يليه من « سفر الأحبار » (وجدف ابن
الاسرائيلية على الإسم ... فقادوه الى موسى ... فألقوه في
السجن) ، اعتبر الاسم أقدس من أن يلفظ (انظر موسوعة
« فنك اند فاغناز » ، طبعة ١٩٦٩ ، الجزء ١٤ ، ص ٥٢١٣) .
وهكذا فقدت طريقة لفظ اسم إله اليهود .

وجدير بالملاحظة هنا أن اليهود العرب المعاصرين ، لا سيما
المتدينين منهم ، عندما يتكلمون بالعربية ويضطرون الى استعمال
اسم ربه ، يستبدلونه بكلمة « القدرة » أو « الحق » ، إذ
يقولون مثلاً « لما ظهرت له القدرة » أو « لما تجلى له الحق » .
(راجع كتاب الدكتور أسد رستم « الأصول العربية لتاريخ
سورية في عهد محمد علي باشا » ، صفحة ٢٩ وما يليها ، حيث
ذكرت شهادة الحاخام أبي العافية في معرض التحقيق في مقتل
الآب توما في دمشق سنة ١٨٤٠) .



فهرست

الأمم ٧٧	أبا ايبان ٦٥ ٦٧
أور ١٥ ٣٦	أيزيدور ابشتاين ١٥ ٧٩ ٩٤
ايمانويل فيليكوفسكي ٨٦ ٨٧	ابرام (إبراهيم) ٧٩ ٩٠
	أتون ٨٠ ٨١
بابل ١٦ ٢٠ ٢٩ ٥٧ ٧٨ ٧٩ ٨٥	آدين شتاينزالتر ٤٠ ٨٢
بابلو كريستنياني ٩١	أدون (ادوناي) ٨٠
بال ٧٠	آرثر روبن ١٨ ٣٩ ٦٩ ٩٢
بختنصر ١٦	أريحا ٨٨ ٨٩
بروتوكولات حكاء صهيون ٦٧	أسد رستم ٧٧ ٩٥
٧٢ ٧٠	أسفار التوراة ٣٩
بن غوريون ٦٦	أسفار الملوك ٤٧
البننتاتوك ١٩ ٨٥ ٨٩	استرهازي ٦٨
بنجامن فرانكلين ٦٦	اسرائيل (يعقوب) ١٥
بولس ٢٩ ٥٧ ٩٠	انجيل متى ١٣

رفكنن (البروفسور) ٧٩ ٨٠	التلمود ٤١ ٨٢
رمزية البناتوك ٨٩	التوراة ٤١ ٤٤
سفر أستير ٤٤	توماس جفرسون ٦٦
سفر الأمثال ٤٥	التوحيد عند اليهود ٧٩
سفر الجامعة ٤٥ ٤٦	تيودور هرتزل ٦٨
سفر راعوت ٤٦	جبل الله ٥٠
سفر عزرا ٤٧	الجلد ٥٠
سفر نحيا ٤٧	جنة عدن ٤٩
السنهدرين ١٦	جورج لاخوفسكي ٩٢
سوكولوف ٦٦	حاصور ٣٦
سيرجي نيلوس ٧١	حران ١٥
شاوول الطرسوسي ٩١	حزقيال ٢٥ ٣٩ ٤١ ٤٨ ٥٠
شاوول ليبرمان ٩٥	٨٥
شيريب سيريديوفتش ٦٢	الخروج من مصر ٨٤
الصادوقيون ٥٣	دانيال ٥٣
	درايفوس ٦٧

كتب التعاليم ٤٤	ظفر الاسلام خان ٨٣
كورت مارك ٨٩	
لوسيان كافرو ديمار ٦١ ٦٥	عجاج نويض ٧١
المدراش ٣٢ ٤٩ ٩٤	المنصرية لدى اليهود ٩١
مدين ٣٥ ٣٦	عيد الفوريم ٩٣ ٤٤
مردكاي ٦٥ ٩٣	عيد الفصح ٤٥
موسى أبو العافية ٤٠ ٧٧ ٨٣	الفوريم ٢٤ ٣٣ ٣٤
موسى بن ميمون ٤٠	
موسى (النبي) ٢٥ ٣٠ ٣٣ ٣٤	فرعون ٣٥ ٨٦
٨٥ ٨١ ٣٥	فرويد ٨٠
مينيس (الفرعون) ٨٩	الفريسيون ١٦ ٥٢ ٥٣
ناحوم غولدمان ٥٩	فم الحيروت ٨٦
ناحوم نوربرت غلاتزر ٨٥	فيكتور مارسدن ٧١
نستا وبستر ٧٢	
نواح راحيل ٣٢	القراية ٥٣
نيكولاس دونين ٩١	الكتبة ٢٦ ٧٨

يترو ٣٥	المكزاتوك ١٩ ٢٠
يهودا ١٥	هنري جورج ٦٦
اليهودية الأورثوذكسية ١٥	هنري فورد ٧٤
يهو ٢٢ ٢٩ ٣٦ ٨١ ٩٤	هومير سميت ٨٨
يوهان فيفر كورن ٩١	

محتويات الكتاب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	مقدمة الناشر
٩	مقدمة المؤلف
١٥	منشأ اليهودية الاورثوذكسية
١٩	غاية الكتب المقدسة
٢٢	إله إسرائيل
٢٤	الغويم
٢٥	ولادة المؤامرة
٢٩	ملاحم اليهود الاسطورية
٢٣	الشريعة
٣٩	أسفار التوراة
٤٤	كتب التعاليم
٤٨	نبوءة حزقيال

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥٢	الفريسيون
٥٩	خاتمة
ملحق	
٧٧	الأمم
٧٨	الكتبة
٧٩	التوحيد عند اليهود
٨٢	التلمود
٨٤	الخروج من مصر
٨٩	رمزية البنتاقوك
٩١	العنصرية لدى اليهود
٩٣	عيد الفوريم
٩٤	المدراس
٩٤	يهوه

إن للشروع في السلوك اليهودي
جذوراً عقائدية ، فالتوراة بوضعها
الحالي تفسح المجال واسعاً أمامهم
« كشعب مختار ، لكي ينهبوا ويسرقوا
ويقتلوا الشعوب الأخرى . ولا يمكن
فهم الشخصية الاسرائيلية إلا من
خلال دراسة الديانة اليهودية .

وهذا الكتاب هو دراسة تمثل
وجهة نظر عالم لاهوتي مسيحي ،
يبين فيها تاريخ التوراة وغاياتها
بشكل علمي موضوعي ، مما يحتم على
البشرية جمعاء إعادة النظر في موقفها
من بني اسرائيل .

